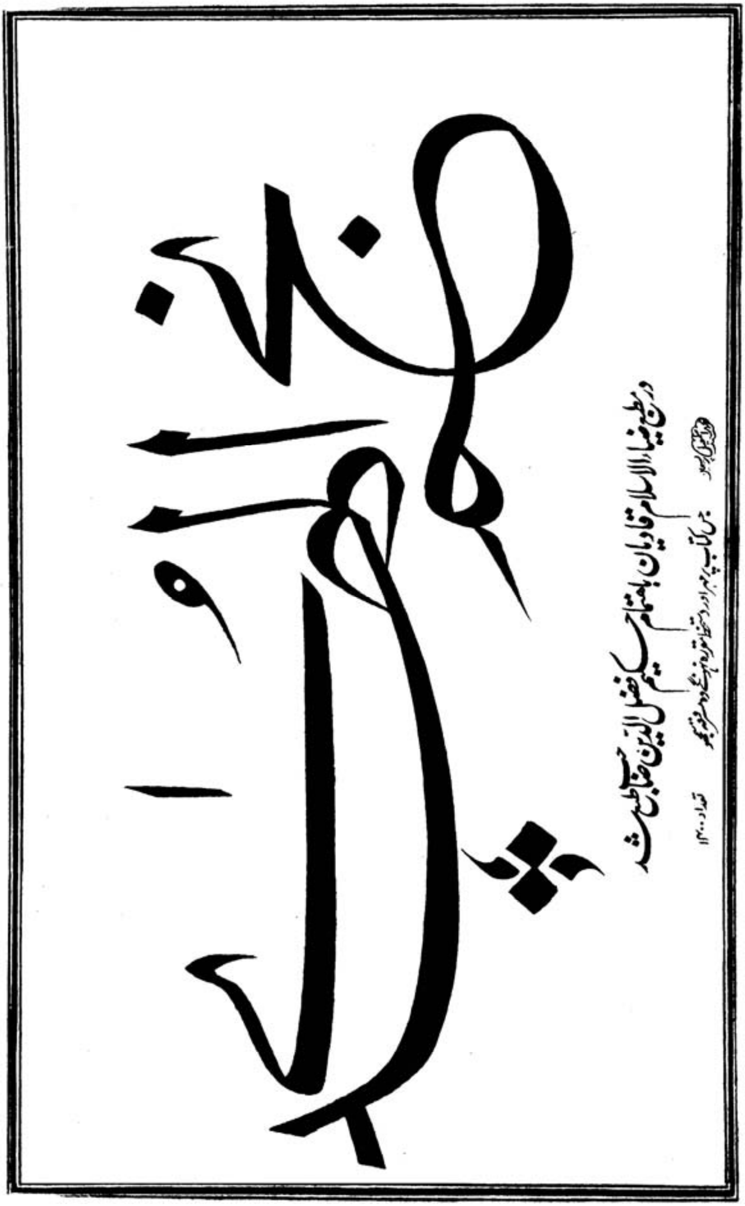


صورة غلاف الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

نجمُ الهدى

الحمد لله الذي خلق الأشياء كلها فأودع مِن جمالٍ خَلْقَها، وبرأ نفوس الناس لنفسه فسوّاها وعالجَ بوجهه قلقها، وأتقن كلَّ ما صنع وحسَّن وأبدع وأحكمَ، وأضاء الشمس وأنار القمر وأنعم على الإنسان وأعزّه وأكرمَ. والصلاة والسلام على رسوله النبيّ الأُمّيّ.. محمد أحمد الذي كان اسماه هذان أوّل أسماءٍ عُرضتْ على آدم بما كانا علّةً غائيّةً للنشأة الأولى وكانا في علم الله أشرف وأقدم. فهو أوّلُ النبيين درجةً لهذين الاسمين وآخرهم بما ختم الله عليه كلّ ما علّم النبيين وفهّم، وأكمل كلّ ما أوحى إليه وألهم، وبما أعطاه الله آخر المعارف وجمع فيه ما أخّر وقدّم، وأرسله إلى كل أسود وأبيض، واختاره لإصلاح كل أعمى وأصمّ وأبكم، وضمّخه بعطرِ نعمه أزْيدَ مما ضمّخ أحدا من الأنبياء، وعلّمه من لدنه، وفهّمه من لدنه، وعرّفه من لدنه، وطهّره من لدنه، وأدّبه من لدنه، وغسله من لدنه بماء الاصطفاء. فوجب عليه حمدُ هذا الربِّ الذي كفَل كلَّ أمره بالاستيفاء، وأدخله تحت رداء الإيواء، وأصلح كل شأنه بنفسه مِن

غيرِ منّةِ الأساتذ* والآباء والأمراء، وأتمّ عليه من لدنه جميع أنواع الآلاء والنعماء. فحمده روحُ النبي بحمد لا يبلغ فكرٌ إلى أسراره، ولا تدرك ناظرةٌ حدود أنواره، وبالغَ في الحمد حتى غاب وفنى في أذكاره.

وأمّا سببُ هذا الحمد الكثير.. وسرُّ إحماده، فهو بحار فضل الله وموالاة إمداده، وعناية الله التي ما وكَلتْه طرفة عين إلى سعيه واجتهاده، حتى شغفه وجهُ الله حُبًّا وأوحده في وداده، ففار قلبُه لتحميد هذا المحسن حتى صار الحمد عين مراده. وهذه مرتبة ما أعطاها الله لغيره من الرسل والأنبياء والأبدال والأولياء، فإنهم وجدوا بعض معارفهم وعلومهم ونعمهم بوساطة العلماء والآباء والمحسنين وذوي الآلاء، وأما نبينا ﷺ فوجد كل ما وجد من حضرة الكبرياء، ونال ما نال من منبع الفضل والإعطاء، فما فارت قلوب الآخرين للحمد كما فار قلب نبيّنا لحمدِ مُنعِم تولّى أمره وحده مِن جميع الأنحاء، فلأجل ذلك ما سُمّي أحدٌ منهم باسم أحمد، فإنه ما أثنى على الله أحدٌ منهم كمحمّد وما وَحَّدَ، وكان في نعمهم مَزْجُ أيدي الإنسان، وما علّمهم الله كعلمه وما تولّى كل أمورهم وما

* *سقطت التاء من الكلمة سهوا، والصحيح: الأساتذة. (الناشر)*

أَيَّدَ. فلا مهديَّ إلا محمد ولا أحمد إلا محمد على وجه الكمال، وهذا سرٌّ لا يفهمه إلا قلوب الأبدال.

ثم إذا كان حمدُه بإيثارِ وجه الله والإقبال عليه بنفي أهواء النفس والحَفْدِ إليه بإخلاص وصدق وتوحيد، فرجّع اللهُ إليه صلةً منه ما أرسلَ إلى ربّه من تحميد، وكذلك جرتْ سُنّته بكل صديق وحيد، فحُمِّدَ محمّدنا في الأرض والسماء بأمر ربّ مجيد. وفي هذا تذكرة للعابدين، وبشرى لقوم حامدين. فإن الله يردّ الحمد إلى الحامد ويجعله من المحمودين، فيُحمَد في العالمين، ويوضع له القبولية في الأرض، فيثني عليه كلٌّ من كان من الصالحين. وهذا هو كمال حقيقة العبودية، ومآلُ أمر النفوس المطهرة، ولا يعرفها إلا الذي أُعطيَ حظًّا من المعرفة. وهذا هو غايةُ نوع الإنسان، وكماله المطلوب في تعبُّد الرحمن. وهذا هو الذي تنتهي إليه آمال الأولياء، ويختتم عليه سلوك الطلباء، وتستكمل بها العنايةُ نفوس الأصفياء. وهذا هو لُبُّ أعباء الشريعة، ونتيجة المجاهدات في الملّة، وسرٌّ ما نزل به الناموس من الحضرة على قلب خيرِ البريّة، عليه أنواع السلام والصلاة والبركات والتحية. يرغب فيه المجاهدون، وإلى الله متبتّلون، الذين في خيامِ حبّه يسكنون، وبه يحيون، وله يموتون، وعليه يتوكلون، ولحُكْمه بصدق القلب يطيعون، ولأمره بِهَمْلِ العين

يتّبعون، وفي مرضاته يفنون، وفي أحزانه يذوبون، وبأُنسه يبقون، وله تتجافى جنوبهم من المضاجع ويتحنّثون، ويبيتون سُجّدًا وقيامًا ولا يغفلون، ويأخذهم القلق فيذكرون حِبّهم ويبكون، وتفيض أعينهم من الدمع وفي آناء الليل يصرخون ويتأوّهون، ولا يعلم أحد إلى أي جهة يُجذَبون ويقلَّبون. يُصَبُّ عليهم مصائب فبصدقهم يتحمّلون، ويُدخَلون في نيران فيقال: "سلام"، فيُحفَظون ويُعصَمون. أولئك هم الحامدون حقًّا وأولئك هم المقدّسون والنجيّون، فطوبى لهم ولمن صَحِبَهم فإنهم المنفردون، والشافعون المشفَّعون.

وهذه مرتبة لا تُعطى إلا لمحبوبي الحضرة، وإنما جاء الإسلام لتبيين تلك المنــزلة.. ليُخرج الناس من وِهاد المنقصة، ويوصلهم إلى حظيرة القدس ويهدي إلى مقام السعادة، وينذر الغافلين ويصدمِ قلوبهم بوعيدِ مُدى القطعية.

وما تعلم ما الحمد والتحميد، ولِم أعلى مقامه الربُّ الوحيد. وكفى لك مِن عظمته أن الله ابتدأ به كتابه الكريم، ليبيّن للناس عظمة الحمد ومقامه العظيم. وإنه لا يفور من قلبٍ إلا بعد المحويّة والذوبان، ولا يتحقق إلا بعد الانسلاخ ودوسِ أهواء النفس الثعبان، ولا يجري على لسان إلا بعد اضطرام نار المحبة في الجنان، بل لا يتحقق إلا بعد زوال أثر الغير من الموهوم والموجود، ولا يتولّد إلا

بعد الاحتراق في نار محبّة المعبود. فمن ألقى نفسه في هذه النار، فهو يحمد الله بقلبٍ مُوجَع وسِرٍّ محوٍ في الحبيب المختار، وهو الذي يُدعى في السماء باسم أحمد ويقرَّب ويُدخَل في بيت العزّة وقُصارة الدار، وهي دار العظمة والجلال.. يُقال استعارةً إن الله بناها لذاته القهار، ثم يعطيه لحمّادِ وجهه فيكون له كالبيت المستعار، فيُحمَد هذا الرجل في السماء والأرض بأمر الله الغفّار، ويُدعى باسم محمّد في الأفلاك والبلاد والديار، ومعناه أنه حُمّد حمدًا كثيرا واتفق عليه الأخيار من غير الإنكار.

وإن هذين الاسمين قد وُضعا لنبيّنا مِن يوم بناء هذه الدار، ثم يُعطَيان للذي صار له كالأظلال والآثار. ومن أُعطي من هذين الاسمين بقبس فقد أُنير قلبه بأنواع الأنوار. وقد جرى على شفتَي الرسول المختار، أن الله يرزق منهما عبدًا له في آخر الزمان كما جاء في الأخبار، فاقرؤوا ثم فكِّروا يا أولي الأبصار.

فالغرض أن الأحمدية والمحمدية أمرٌ جامع دُعِيَ الموحّدون إليه، ولا يتمّ توحيد نفس إلا بعد أن يرى في وجوده تحقُّقَ جَنْبَيه، ولا تصير نفس مطمئنةً، ولا تتنــزل على قلبٍ سكينة، إلا أن يكون سابحا في هذه اللُّجّة، ولا ينجو أحدٌ من مكائد الأمّارة إلا أن يحصل له حظٌّ من هذه المرتبة. والذين بعدوا منها وما أخذوا منها حصّةً

ترهَقهم ذلّةٌ في هذه ويوم القيامة. هم الذين يمشون على الأرض كغُثاءٍ على السيل، كأنّما أُغشيتْ وجوههم قِطعًا من الليل. يتولدون محجوبين، ويعيشون محجوبين، ويموتون محجوبين. أولئك الذين أعرضتْ قلوبهم عن حمد ربهم وضيّعوا أعمارهم في حمد أشياء أخرى أو رجال آخرين.

فبُشرى لنا معشر الإسلام.. قد بُعث لنا نبي بهذه الصفة وهذا الكمال التام، وسُمّي أحمد ومحمد من الله العلاّم، ليكون هذان الاسمان بلاغا للأُمّة وتذكيرا لهذا المقام.. الذي هو مقام الفناء والانقطاع والانعدام، لترغب الأُمّة في هذه الصفات وتتّبع اسمَي خيرِ الأنام. وقد نُدب عليهما إذ قيل حكايةً عن الرسول: ﴿فاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾★. فاهتزّت أرواحنا عند وعد هذا الجزاء والإنعام، وقلوبنا مُلئت شوقا وصارت أشكالها ككؤوس المُدام. وما أعظمَ شأنَ رسول ما خلا اسمُه مِن وصيّة للأُمّة، بل مُلئ مِن تعليم الطريقة، ويهدي إلى طرق المعرفة، وأُشيرَ في اسمَيه إلى مُنتهى مراحلِ سبلِ حضرة العزّة، وأُومِئَ إلى نقطةٍ خُتم عليها سلوك أهل المعرفة. اللهم فصَلِّ عليه وسلِّمْ وآلِه المطهرين الطيبين، وأصحابه الذين هم

★ آل عمران:٣٢

أسودُ مواطن النهار ورهبانُ الليالي ونجوم الدين، رضي الله عنهم أجمعين.

أمّا بعد.. فهذه رسالة فيها بيان ما استبضعتُ متاعًا من ربّي، وما نبع في زمانِ ملامحِ السراب مِن عينٍ في سِرْبي، بإذن مولى مُربّي. وشرعتُها يوم الخميس وختمتُها بُكرةَ عَروبةٍ، مِن غير أن أكابد الصعوبة. وإني ألّفتُ هذه الرسالة إتماما للحجّة، وبادرتُ إليها شفقةً على الغافلين من هذه الأُمّة، ومثَلتُ تحنّنًا على الضعفاء من هذه العصبة. وإني أرى في دعوتي صلاح الرجال منهم والنسوة، ولو كانت "رابعة" بنُسكها والعفّة. وعوّضتُها عما أشاع المخالفون في هذه الأيام، وأودعتها مِن نكات المعارف ودقائق ملّة الإسلام. وهذه لهمْ كغَوّاثٍ في لسانين مني ومِن فورِ محبّتي، وزاد الإنجليزيةَ والفارسية عليها بعضُ أحبّتي، وما وهنوا وما استقالوا بل حفَدوا إلى إسعاف مُنيتي، وكلُّ هذا من ربّي كافِلِ خطّتي. لا رادَّ لإرادته، ولا صادَّ لمشيئته، ولا مانِعَ لفضله، ولا كافِئَ لنصله. ولقد كادت أنوار الإسلام تغرُب، وأنواؤه تعزُب، لولا أن الله تداركَ الأُمّةَ على رأس هذه المائة، وتلافى المَحْلَ بمُزْنةِ الرحمة والعاطفة، فاشكروا هذا المولى المحسن إن كنتم مؤمنين.

وإن رسالتي هذه قد خُصّت بقومي الذين أبوا دعوتي، وقالوا أَفيكةُ أفّاكٍ وحسبوها فِرْيتي، وظنوا أنها عَضِيهة وهتكوا بسوء الظن عِرضي وحرمتي، فألجأني وجدي المتهالكُ إلى النصيحة والمواساة. والله يعلم ما في صدور عباده وهو عليم بالنيّات، ومطّلعٌ على المخفيّات، وخبير بما في العالمين. وإني لا أرى حاجة في هذه الرسالة إلى أن أكتب دلائل الملّة الإسلامية، أو أنمّق نُبَذًا من فضائل خيرِ البريّة، عليه معظّمات السلام والتحية، فإن الإسلام دين عظيم وقويم أُودع عجائب الآيات، ونبيّنا نبي كريم ضُمِّخَ بطِيبٍ عميم من البركات، وصِيغَ مِن نور رب الكائنات، وجاءنا عند شيوع الضلالات، وسفَر عن مَرْأى وسيمٍ، وأَرَجِ نسيم للإفاضات، وشنَّ على سِرْب الباطل من الغارات، وتراءى في صدقه كأجلى البديهيات. وإنه هدى قومًا كانوا لا يرجون لقاء الرحمن، وكانوا كأموات ما بقِي فيهم روح الإيمان والعمل والعرفان، وكانوا يعيشون يائسين. فهداهم وهذّبهم ورفعهم وأوصلهم إلى أعلى مدارج المعرفة، وكانوا من قبل يشركون ويعبدون تماثيل من الحجارة، ولا يؤمنون بالله الأحد الصمد ولا بيوم الآخرة. وكانوا يعكفون على الأصنام، ويعزُون إليها كلّ ما هو قدر الله الحكيم العلاّم، حتى عزَوا إليها إنزالَ المطر من الغمام، وإخراجَ الثمار من

الأكمام، وخَلْقَ الأجنّة في الأرحام، وكلَّ أمر الحياة والحِمام. وكان يعتقد كلٌّ منهم وَثْنَه معْوانًا، وعند النوائب مستعانا، وعند الأعمال ديّانًا. وكان كل منهم يُهرَع إلى تلك الحجارة حريصا، ويحفِد إليها مستغيثا. وكذلك تركوا ضوء النهار واتخذوا الليل مقاما، وأدلجَ كلّ فيه وأحبّوا ظلاما. وكانوا يهتزّون بها هزّةَ مَن فاز بالمرام، أو كمَنْ أكثبَه قَنَصٌ فأخذه مِن غير رمي السهام. وكانوا قد عَلِقَ بقلبهم أنهم يُعطَون كلَّ مرادهم من الأصنام، وحسبوا أن الله منـــزه عن تلك الاهتمام، وزعموا أنه أعطى لآلهتهم قوة وقدرة في عالم الأرواح والأجسام، وكساهم رداءِ ألوهيّته بالإعزاز والإكرام، وهو مستريح على عرشه وفارغ من هذه المهام، وهم يشفعون عبدهم وينجّون من الآلام، ويقرِّبون إلى الله زُلفى ويعطون مقصد المستهام. وكانوا مع تلك العقائد يعملون السيئات وبها يتفاخرون، ويزْنون ويسرقون، ويأكلون أموال اليتامى من غير الحق ويظلمون، ويسفكون الدماء وينهبون، ويقتلون نفوسا زكيّة ولا يخافون. وما كان جريمة إلا فعلوها، وما من آلهة باطلة إلا عبدوها. أضاعوا آداب الإنسانية، وزايَلوا طُرُقَ أخلاق الإنسيّة، وصاروا كالوحوش البرّيّة، حتى أكلوا لحم الأبناء والإخوان، وخضموا كلّ جيفة وشربوا الدماء كالألبان. وجاوزوا الحد في المنكرات وأنواع الشقا، وفعلوا ما شاءوا كأوابد

الفلا، ولم يزلْ شعراؤهم يلُوكون أعراض النساء، وأمراؤهم يداومون على الخمر والقِمار والجفاء. وكانوا إذا بخلوا يُتلِفون حقوق الإخوان واليتامى والضعفاء، وإذا أنفقوا فينفقون أموالهم في البَطَر والإسراف والرياء واستيفاء الأهواء. وكانوا يقتلون أولادهم خوفا من الإملاق والخصاصة، ويقتلون بناتِهم عارًا من أن يكون لهم خَتَنٌ من شركاء القبيلة. وكذلك كانوا يجمعون في أنفسهم أخلاقا ردّية، وخصالا رذيلة مُهلكة، حتى كثُر فيهم حزب المُقْرِفين الزنيمين، وعاهرات متخذات أخدانًا والزانين. والذين كانوا يخالفون آثار مَهْيَعِهم فكانوا يخافون عند نصحهم على عرضهم ونفسهم وأهل مَربَعِهم.

فالحاصل أن العرب كان قوم لم يواجهوا في مدة عمرهم تلقاءَ الواعظين، وكانوا لا يدرون ما التُّقى وما خصال المتّقين. وما كان فيهم من كان صادقا في الكلام غير جافٍ عند فصل الخصام. فبينما هم في تلك الأحوال وأنواع الضلال والفساد في الأقوال والأعمال والأفعال.. إذ بُعث فيهم رسولٌ من أنفسهم في بطن مكة، وكانوا لا يعلمون الرسالة والنبوة وما بلغهم رَسٌّ من أخبارها وما دروا هذه الحقيقة، فأبوا وعصوا وكانوا على كفرهم وفسقهم مصرّين. وحمل رسول الله ﷺ كلّ جفائهم وصبر على إيذائهم، ودفَع السيئاتِ

بالحسنة، والبغضَ بالمحبة، ووافاهم كالمحبّين المواسين. وطالما سلَك في سككِ مكة كوحيد طريد، وتصدّى بقوة النبوة لكل عذاب شديد. وكان يُقبِل على الله كل ليلة، ويسأل الله انفتاح عيونهم ونزول فضل ورحمة، حتى استُجيب الدعوات، وضاعَ مِسْكُها وتوالى النفحات، ونزل أمرُ مقلِّب القلوب، وأُوتوا قوة من مُعطِي الحُبّ وزارعِ الحبوب. فبُدّلت الأرض غير الأرض بحكم حضرة الكبرياء، وجُذبت النفوس إلى الداعي المبارك وسمع نداءَه قلوبُ السعداء، وأفضى إلى مقتله كلُّ رشيد من الصدق والوفاء. وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لابتغاء مرضاة الله الرحمن، وقضوا نحبهم لله الرحمن، وذُبحوا له ككبش القربان، وشهدوا بإهراق دمائهم أنهم قوم صادقون، وأثبتوا بأعمالهم أنهم لله مخلصون. وكانوا في زمن كفرهم أسارى في سجن الظلام، فنُوّروا بعد إجابة دعوة الإسلام، وبدّل الله سيئاتِهم بالحسنات، وشرورهم بالخيرات، فبدّل غَبوقهم بصلاة آناء الليل والتضرّعات، وصَبوحهم بصلاة الصبح والتسبيحات والاستغفارات. وبذلوا أموالهم وأنفسهم بسبل الرحمن بطِيب الجَنان، عندما ثبت لهم صدق الرسول بكمال الإيقان. فإذا رأوا الحق فأتمّوا جهدهم في استبراء زنْدِ الإيمان، وبلَوا أنفسهم لاستشفاف فرِنْدِ الاستيقان. فهذا هو الأمر الذي شجّعهم وحَدَّ مُداهم، ثم أشاد لهم

ذكراهم وأحسن عقباهم. وهذا هو السَمْحُ الذي حبّب إلى الخلائق خلائقهم، وأرى كنشْرِ المِسك المفتوت حقائقهم. وهذا هو سببُ اجتراء جنانهم، وانصلاتِ لسانهم، وقوة إيمانهم، وعلوّ عرفانهم، ولأجل ذلك أهرقوا نفوسهم محبّةً ووِدادا، حتى عاد جمرُها رمادا، واتّقدوا بحب الله اتّقادا، وأعدّوا النفوس بسبله إعدادا. وصارت المصائب عليهم كالبرد والسلام، ونسوا تكاليف الحرّ والضِّرام. ومن نظر في أنهم كيف تركوا مَراتعَهم الأولى، وكيف جابوا بيداءَ الأهواء ووصلوا المولى، وكيف بُدّلوا وغُيّروا، وطُهّروا ومُحّصوا، علِم باليقين أنه ما كان إلا أثر القوةِ القدسيّة المحمدية، وبه اصطفاهم الله وأقبلَ عليهم بالتفضلات الأزلية.

وإن الصحابة أُخذوا بهذا الأثر من تحت الثرى ورُفعوا إلى سمكِ السماء، ونُقلوا درجةً بعد درجة إلى مقام الاجتباء والاصطفاء. وقد وجدهم النبي كعجماوات لا يعلمون شيئا من تهذيب وتقاة، ولا يفرّقون بين صلاح وهَناة، فعلّمهم أوّلاً آداب الإنسانية بالاستيفاء، وفصّل لهم طرق التمدّن والثواء، والطهارة والاستنان والسِّواك والخِلالة بعد الضَّحاء والعَشاء، والاستنثار عند البول والاستبراء عند الاستنجاء، وقوانين المعاشرة والمدَنيّة والأكل والشرب والكسوة والمداواة والاحتماء، وأصول رعاية الصحة والاتقاء من أسباب

الوباء، وهداهم إلى الاعتدال في جميع الأحوال والأنحاء. ثم إذا مرِنوا عليها فنقلهم من التطهيرات الجسمانية إلى التحلّي بالأخلاق الفاضلة الروحانية، والخصال المرضيّة المحمودة الإيمانية. ثم إذا رأى أنهم رسخوا في محاسن الخصال، وكانت لهم ملكةٌ في إصدار الأخلاق المرضيّة على وجه الكمال، فدعاهم إلى سرادق القرب والوصال، وعلّمهم المعارف الإلهية، ووَقَمَ أعنّتَهم إلى حضرة العزّة والجلال، ليترعوا★ مِن حدائق القرب لُعاعَ الحُبّ ويكون لهم عند الله زلفى وصدق الحال.

فالغرض أن تعليم كتاب الله الأحكمَ ورسولِ الله ﷺ، كان منقسما على ثلاثة أقسام: الأول.. أن يجعل الوحوش أناسا، ويعلّمهم آداب الإنسانية ويهب لهم مدارك وحواسّا، والثاني.. أن يجعلهم بعد الإنسانية أكمل الناس في محاسن الأخلاق، والثالث.. أن يرفعهم من مقام الأخلاق إلى ذُرى مرتبةِ حُبِّ الخلّاق، ويوصل إلى منـــزل القرب والرضاء والمَعِيّة والفناء والذوبان والمحويّة، أعني إلى مقام ينعدم فيه أثرُ الوجود والاختيار، ويبقى الله وحده كما هو يبقى بعد فناء هذا العالم بذاته القهّار. فهذه آخر المقامات للسالكين والسالكات، وإليه تنتهي مطايا الرياضات، وفيه يختتم سلوك

★ *لعلّه: ليرتَعوا. (الناشر)*

الولايات، وهو المراد من الاستقامة في دعاء سورة الفاتحة. وكلٌّ ما يتضرّم مِن أهواء النفس الأمّارة فتذوب في هذا المقام بحُكم الله ذي الجبروت والعزّة، فتُفتح البلدة كلها ولا تبقى الضوضاة لعامة الأهواء، ويُقال لِمنِ المُلْكُ اليوم.. للهِ ذي المجد والكبرياء. وأما مرتبة الأخلاق الفاضلة والخصال الحسنة المحمودة، فلا أمْنَ فيها من الأعداء عند الغفلة، فإن لأهل الأخلاق تبقى حصون يتعذّر عليهم فتحُها، ويُخاف عليهم صولُ الأمّارة إذا ضَرِمَ لَتْحُها، ولا تصفو أيام أهلها من النقع الثائر، ولا يؤمَّنون من السهم العائر.

فالحاصل أن هذه تعاليم الفرقان، وبها استدارت دائرة تكميل نوع الإنسان، وإنها لمعارفُ ما كفَلها كتاب من الكتب السابقة، وما احتوها صحيفة من الصحف المتقدمة. فهذا إعجازُ نبيّنا من حيث الصورة العِلمية والعملية، ومعجزةُ الفرقان الكريم لكافّة البريّة. ولقد انقضتْ وانعدمت خوارق النبيين الذين كانوا في الأزمنة السابقة، ويبقى هذا إلى يوم القيامة.

وأما ما قلنا إن القرآن معجزة عِلمية وعملية.. فليس هذا كحكايات واهية، بل عليه عندنا أدلّة قاطعة، وبراهين شافية مسكِّنة. فاعلم أن إعجازه العلمي ثابت كالبديهيات، وليس عليه غبار من الشبهات، لأنه كلام جامع وتعليم كامل أحاط جميع

ضرورات الإنسان وسبيل الرحمن، وما غادر شيئا من دلائل الحق وإبطال الباطل ودقائق العرفان، مع بلاغة رائعة وعبارات مستعذَبة وحسنِ البيان، وهذا أمر ليس في قدرة الإنسان. وأما قولنا إنها معجزة عملية.. فهي كشُعْبتِها الأولى واقعةٌ بديهية، ولا يسع فيها إنكار وخصومة. فإن تعاليم القرآن قد حيّرت العقلاء بتأثيراتها العجيبة، وتبديلاتها الغريبة، وتنويراته✦ التي هي خارقة للعادة ومُزيلة للملكات الرديّة الراسخة، وقد تسورتْ أسوارَ الطبائع الشديدة الزائغة، ودخلتْ بيوتَ القلوب القاسية كالصخرة، ووصلتْ إلى الذين كانوا يسكنون وراء الخنادق العميقة الممتنعة من القرائح السِّفْلية الرذيلة، وألان الله بها الشديد وأدنى البعيد، وأخرج الصدور من القبض إلى الانشراح، ومن الضيق إلى السعة، ورفَع الحجاب وأرى الحق والصواب، حتى أوصل المؤمنين إلى الإلهامات الصريحة، والكشوف الصادقة الصحيحة، وذرَع حَبَّ الكرامات المستمرة الدائمة في قاع صدور الأُمّة، فلأجل ذلك لا نفرّ عند طلبِ كرامةٍ إلى زمن مضى، بل نرسو على مقامنا ونُري المُنكِر ما حضر غضًّا طريًّا مِن آيِ المولى. وليس في أيدي عِدانا إلا القصص الأولى، ولا يثبُت دينٌ بقصص، بل بأنوار لا تنقطع ولا تبلى.

✦ *يبدو أن الألف سقطت هنا سهوًا، والكلمة: تنويراتها. (الناشر)*

ثم اعلم أن هذه معجزة عظُمتْ شُعبتاه، وضاعت ريّاه، وقد جمعتْ لتصديقها طوائف الأنام، كما يُجمَعون لحَجّةِ الإسلام. وإنا نرى أن أحدًا من أجلّ الحكماء إنْ توجّه إلى تقويم أَوَدِ سفيه من السفهاء، أو إلى إنابةِ فاسق أسير في الفسق والفحشاء، فيشقّ عليه قَلْعُ عادته، ولا يمكن له تبديل خيالاته، فما شأنُ رجل أصلحَ في زمان يسير ألوفًا من العباد، ونقَلهم إلى الصلاح من الفساد، حتى انحلّ تركيب الكفر واجتمع شمل الصدق والسداد. وتلألأتْ في نفوسهم أنوار التقى، ولمعت في أساريرهم سرائرُ حبّ المولى. وعلتْ هممهم للخدمات الدينية، فشرّقوا وغرّبوا للدعوة الإسلامية، وأيمنوا وأشأَموا لإشاعة الملّة المحمدية، وأنارت عقولهم في العلوم الإلهية، ودقّتْ أحلامهم لفهم الأسرار الربّانية، وحُبّب إليهم الصالحات، وكُرّه المعاصي والسيئات. وأُنزلوا في خيام الرشد والسعادة بعدما كانوا يعكفون على الأصنام للعبادة، وما آلوا في جهدهم وما تركوا جِدَّهم للإسلام، حتى بلّغوا دين الله إلى فارس والصين والروم والشام. ووصلوا إلى كُلِّ ما بسط الكفرُ جناحه، ووافَوا كلَّما شهَر الشِّركُ سلاحَه. وما ردّوا وجوههم عن مواجهة الرَدى، وما تأخّروا شبرًا وإن قُطّعوا بالمُدى. وكانوا عند الحرب لمواضعهم ملازمون، وإلى الموت لله حافدون. إنهم قوم ما تخلّفوا في مواطن المباراة،

وبدروا ضاربين في الأرض إلى منتهى العمارات، وقد عُجِمَ عُودُ فراستهم، وبُلِيَ عصا سياستهم، فوُجدوا في كل أمر فائقين، وفي العلم والعمل سابقين. وإنْ هذا إلا معجزة خاتم النبيين، وإنه على حقيقة الإسلام لدليل مبين. وإن كنتم في شك فأَرُوني كمثلهم أحدا من أصحاب موسى أو من أنصار عيسى أو من صُحْبة رسل آخرين، وقد جاءتكم أنباؤهم، وسمعتم ما قال فيهم أنبياؤهم، وما أرجفتْ ألسنهم وما كانوا كاذبين، فإنهم نطقوا بإنطاق الروح وما تكلّموا كالمغضبين.

ومن دلائل نبوته ﷺ أنه جاء في وقت الضرورة، وما رحل من هذه الدنيا إلا بعد تكميل أمر الملّة. وأما معجزاته الأخرى.. فوالله إنها لا تُعدّ ولا تُحصى، والكتب مِن بعضها مملوءة وهي متظاهرة، وإنها في القوم مشهورة متواترة. ثم معجزاته ﷺ كما ظهرت في أول الزمان..كذلك تظهر في هذا الأوان، وهذا أمر ثابت ليست فيه ثلمة، ولا في صحتها منقصة. ووالله إن نبوّته لمن أجلى البديهيات، ولا يفارقها في زمنٍ أنوارُ الآيات، ولا ينكرها إلا الذي رُبِّيَ في شرّ حجرٍ، ونشأ في أخبث نَشْءٍ. وإنه جاء بدينٍ لو نزعنا عنه كل برهان، ونرى نفس تعليمه بعين إمعان، لنظَرْنا تلألُؤَ الحق في صورته الساذجة المنيرة، مِن غير احتياج إلى حُلل الحجج والأدلّة. ووالله ما

منع الناس أن يقبلوا الإسلام إلا داءٌ دخيل من الكبر والتعصّب والأَوَد والفساد، وغلبة البخل والحقد وحبّ القوم والعناد. وما بعَّدهم مِن نعمه إلا فُرطاتٌ ضيّقتْ صدورهم، وملأت من الظلمات قبورهم، فما كانوا مبصرين.

هذا ما أردنا شيئا من ذكر دلائل الإسلام، والآن نرجع إلى المرام فاسمعوا متوجهين.

أيها الإخوان.. أقصّ عليكم نَبْذًا من قصتي، وما كُتِب مِن فضل الله في حصتي، وأُدخلَ في دعوتي، فإني أُمرتُ أن أبلّغها إليكم يا معشر الطلباء، وأؤدّيها كدَيْن لازمٍ لا يسقط بدون الأداء. فاعلموا إني امرؤ من بيت العزّة والرياسة، وكانت آبائي من أولي الأمر والسياسة، وأُخبرتُ أنهم نزلوا بهذه الديار.. ديار الهند.. من سمرقند، وقلّدهم ملِكُ الوقت الحكومةَ والإمرة وأعطى لهم الفوجَ والفِرِنْدَ. فاتّفق حين غلبت "الخالصة"● في هذه البلاد، وعتوا عتوًّا شديدا وأفرطوا في الفساد، أنْ غصبوا مُلكنا ومِلكنا وصفّدونا كالعباد، وأُخرجنا من دار رياستنا بظلم منهم والعناد. وكانت تلك أيام البرد، وأوان شدّة الصَّرْد، فخرج آباؤنا ليلا من البرد مُقَفْقِفين، ومن الهمّ كمُحْقَوقفين. وألقوا عصا تَسْيارهم بدارِ رياسةٍ غمرتْهم بنوالٍ

● *"الخالصة" هم طائفة السيخ. (الناشر)*

من غير سؤال، ورحمتْ إذا رأت آثارَ خصاصة ولو بقُصاصة. ثم إذا جاء عهد الدولة البرطانية ومضى وقت الغارات الشيطانية، فأَمِنّا بها ونُجّينا من الفتن "الخالصة". ويَمَّ آباؤنا تربةَ وطنهم مع رفقة من المهاجرين، شاكرين لله رب العالمين، ورُدَّ إلينا بعضُ أموالنا وقُرانا، والبختُ الفارُّ أتانا. وحفّتْ بنا فرحتان كزهر البساتين: فرحة الأمن وفرحة الحريّة في الدين.

وما كان لي حظ من رياسة آبائي العبقريين، فصرتُ بعد موت أبي كالمحرومين. وقد أتى عليّ حين من الدهر لم أكن شيئا مذكورا، وكنت أعيش خفيًّا ومستورًا، لا يعرفني أحد إلا قليل من أهل القرية، أو نفرٌ من القرى القريبة. فكنت إنْ قدِمتُ من سفر فما سألني أحد من أين أقبلتَ، وإن نزلتُ بمكان فما سأل سائل بأي مكان حللتَ. وكنت أحبّ هذا الخمول وهذا الحال، وأجتنب الشهرة والعزّة والإقبال، وكانت جبِلّتي خُلقتْ على حُبّ الاستتار، وكنت مُزْوَرًّا عن الزُوّار، حتى يئس أبي مني وحسبني كالطارق المُمتار، وقال: رجلٌ ضَرِيٌّ بالخلوة وليس مُخالِطَ الناس رَحْبَ الدار. فكان يلومني عليه كمؤدّب مغضب مُرهَف الشِّفار، وكان يوصيني لدُنياي سرًّا وجهرًا وفي الليل والنهار، وكان يجذبني إلى زخارفها وقلبي يُجذَب إلى الله القهّار. وكذلك تلقّاني أخي وكان

يضاهي أبي في هذه الأطوار، فتوفّاهما الله و لم يترك كالمِيخار، وقال: كذلك لئلا يبقى منازعٌ فيك ولا يضرّك إلحاحُ الأغيار. ثم اقتادني إلى بيت العزّة والاختيار، وما كان لي علم بأنه يجعلني المسيح الموعود، ويُتمّ في نفسي العهود. وكنت أُحبّ أن أُترَك في زاوية الخمول، وكانت لذّتي كلها في الاختفاء والأُفول، لا أبغي شهرة الدنيا والدين، و لم أزل أنصّ عَنْسي إلى مُكاتمة كالفانين. فغلب عليّ أمرُ الله العلاّم، ورفَع مكانتي وأمَرني أن أقوم لدعوة الأنام، وفعل ما شاء وهو أحكم الحاكمين. والله يعلم ما في قلبي ولا يعلم أحد من العالمين.

حِبٌّ لنــا فبِحُــبِّه نتحبّبُ وعن المنازل والمــراتب نرغَبُ
إني أرى الدنيا وبلدةَ أهلِها جدَبتْ وأرْضُ ودادِنا لا تجدُبُ
يتــمايلون على النعيم وإننا مِلْنا إلى وجــهٍ يسُــرُّ ويُطرِبُ
إنّــا تعلَّقْــنا بنورِ حبيبِنا حتى اسْتنارَ لنا الذي لا يُخشَبُ
إن العِدا صاروا خنازيرَ الفلا ونســاؤُهم مِن دونهنّ الأَكْلُبُ
سبُّوا وما أدري لأيِّ جريمةٍ سبُّوا أنعصي الحِبَّ أو نتجنّبُ
أقسمتُ أني لن أُفارقه ولو مزَقتْ أسودٌ جثّــتي أو أَذْأُبُ
ذهبتْ رياساتُ الأناس بموتهم ولنا رِياسةُ خُــلّةٍ لا تذهَــبُ

وكذلك كنت قد انقطعتُ من الناس، وعكفت على الله فارغًا من الصلح والعَماس، وكنت أعلم وأنا حَدَثٌ أن الله ما خلَقني إلا لأمر عظيم، وكانت قريحتي تبغي الارتقاء وقُرب ربّ كريم. وكان تِبْرُ جوهري يبرُق في عرق الثرى، مِن غير أن يُستثار بالنبش ويُبدَى. وكان أبي متلاحق الأفكار في أمري، ودائمَ الفكر مِن سيرة هَوني وعدمِ شَمْري، وكان يسعى لنُوفِيَ على ذروةِ شاهقِ الإقبال، ونصِل الدولةَ كآبائنا الأمراء والأجيال. فالحاصل أن قَصْدَ أبي كان أن نصل في الدنيا إلى مراتب عظمى، وكان الله أراد لي مرتبة أخرى، فما ظهر إلا ما أراد ربّي الأعلى. فوهب لي نورا في ليلة داجيةِ الظُلَم، فاحمةِ اللِّمَم، وأضاء قلبي لإضاءة القوم والأمم. ومَنَّ عليّ وجعلني المسيح الموعود، كما قدّم في هذا الأمر العهودَ. ثم أيّدني بتأييدات، وأظهر صدقي بآيات، وجعل مِن شهداء أمري كسوفَ الشمس والقمر، ليبرُق محجّةُ الدعوى ولا يكون كأراجيف السَمْر. ولما أَخبرتُ عمّا أُمرتُ صعُب ذلك على العلماء، وكفروا وكذّبوا وكادوا يقتلونني لولا خوف الحكّام ومخافة سوء الجزاء. وكانوا يحتجّون بأن المسيح ينـــزل من السماء، كما جاء في الكتب واتفق عليه الأكابر من الفضلاء، وكانوا عليه مصرّين. وأسمعناهم فما سمعوا، وفهّمناهم فما فهموا، فأردنا أن نبلّغ هذه الدعوة إلى أقوام

آخرين، ونجعلهم شهداء على قوم أولين، ونُتمّ الحجة مرة ثانية على المنكرين. والله هو المستعان وهو نعم المولى ونعم المعين.

يا أرضُ اسمعي ما أقول
ويا سماءُ اشْهَدي

هذا مكتوب إلى خواصّ الناس ونُخَبِ الأقوام، مِن عبد الله أحمد* الذي نُصِّلَ له أسهم الملام، وأرجو أن لا يُعجَل بذمٍّ، ولا يُنبَذ عُودي قبل عَجْمٍ، بل يُسمَع قولي بالوقار والتُؤَدة، ثم يُتبَع ما يُلقي الله في الأفئدة. وأدعو الله أن يُلهِم القلوب ما هو أصوب وأولى، وهو نعم الهادي ونعم المولى.

أيّها الإخوان، إني أُلهمتُ من حضرة العزّة، وأُعطيتُ عِلْمًا من علوم الولاية، ثم بُعثتُ على رأس المائة، لأجدّد دين هذه الأمّة، ولأقضي كحَكَمٍ فيما اختُلفَ فيه من العقائد المتفرقة، ولأكسرَ الصليب بآيات السماء، وأبدّلَ الأرض بقوة حضرة الكبرياء. واللهُ سمّاني المسيح الموعود والمهدي الموعود بإلهام صريح، ووحيٍ بيِّنٍ صحيح، وما كنت من المخادعين. وما كنت أن أُفوه بزُورٍ، وأدلِّي بغرور، وتعلمون عواقب الكاذبين، بل هو كلام من ربّ العالمين.

* أنا شهير باسم ميرزا غلام أحمد بن ميرزا غلام مرتضى القادياني، والقاديان قرية مشهورة من مُلك الهند من فنجاب قريب من لاهور في ضلع كورداسبور، وهذه علامة تكفي لمن أراد أن يكتب إليَّ مكتوبًا. منه

ومع ذلك كنتُ حرَّجت على نفسي أن لا أتّبع إلهامًا أو كُرّرَ* من الله إعلاما، ويوافِقَ القرآنَ والحديثَ مرامًا، وينطبقَ انطباقا تماما. ثم كان شرطٌ مني لهذا الإيعاز أن لا أقبَلَه مِن غير أن أنظر إلى الأحياز، ومِن غير أن أشاهد بدائعَ الإعجاز. فوالله رأيت في إلهامي جميع هذه الأشراط، ووجدتُه حديقة الحق لا كالحَماط. ثم كان هذا بعدما استطارتْ صُدوع كبدي من الحنين إلى ربّي وصَمَدي، ومُتُّ ميتة العشّاق، وأُحرقتُ بأنواع الإحراق، وصُدمتُ بالأهوال، وصُرِمَ قلبي من الأهل والعيال، حتى تمَّ فعل الله وشُرح صدري، وأُودِعَ أنوار بدري. ففزتُ منه بسهمَين: نور الإلهام ونور العينين. وهذا فضل الله، لا رادَّ لفضله، وإنه ذو فضل مستبين.

وقد ذكرتُ أن إلهاماتي مملوءة من أنباء الغيب، والغيبُ البحت قد خُصّ بذات الله من غير الشك والريب، ولا يمكن أن يُظهِر الله على غيبه رجلا فاسِدَ الرويّة، وخاطِبَ الدنيا الدنيّة. أيحبّ اللهُ امْرَأً بسَط مكيدةً شِباكَ الردى، وأضلَّ الناسَ وما هدى، وأضرّ المِلّةَ كالعِدا، وما جلّى مطلعَها بنور صدقه وما راح بِهَمِّها وما غدا، بل زاد بكذبه صَدَأَ الأذهان، ونشَر بمفترياته هَباءَ الافتنان؟ كلا.. بل إنه يخزي المفترين، ويقطع دابر الدجّالين، ويُلحِقهم بالملعونين السابقين.

---

* لعله: أو يُكرَّرَ.. أي حتى يُكرَّرَ. (الناشر)

ثم اعلموا أني قد كنت أُلهمتُ من أمد طويل، وعلمتُ ما علمتُ من ربٍّ جليل، ولكني استترتُ عن الخَلق حينًا، لا يعرفون لي عَرينا، وما اخترتُ منهم نجيّا وقرينا. فلما أُمرتُ للإظهار، وقُطعتْ سلسلة الاعتذار، فلبّيتُ الصائتَ كطائعين. وقد بلغكم الأحاديثُ من المحدِّثين، وسمعتم أن المسيح الموعود والمهدي الموعود يخرج عند غلبة الصليب، ويتلافى ما سلَف من الإضلال والتخريب، ويهدي قومًا مهتدين. والذين منعتْهم الحميّة والنفس الأبيّة من القبول، فيصيرون بحَرْبة الإفحام كالمقتول. وأما نزوله إلى الأعداء فأُشيرَ فيه إلى أنه رجل من الفقراء، لا يكون له دروع وأسلحة، ولا عساكر ولا مملكة، ولا تنبري له ملحمة، بل تكون له سلطنة في السماء، وحربة من الدعاء. فقد رأيتم بأعينكم أن دين الصليب قد علا، وكل أحد من القسوس طعَن في ديننا وما أَلا، وسبَّ نبيَّنا وشتم وقذف وقَلا. وتجدونهم في عقيدتهم متصلبين، ومن التعصب ملتهبين، وعلى جهلاتهم متفقين. وقد صنّفوا في أقرب مدّة كتبًا زُهاءَ مائة ألف نسخة، وما تجدون فيها إلا توهين الإسلام وبهتانا وتهمة، ومُلئتْ كلها مِن عَذِرة لا نستطيع أن ننظر إليها نظرة. وترون أن أكثرهم أناس مكائدهم كالهوجاء الشديدة جارية، وقلوبهم مِن كسوة الحياء عارية. وتشاهدون أنهم على رؤوس العامة كداعي الثبور والويل،

وتُدفَع إليهم زُمَعُ الناس كغثاء السيل. وما أقول إنهم يُنصَرون من السلطنة أو يُواسَون من أيادي الدولة، بل الدولة البرطانية سوّتْ رعاياها في الحرّية، وما غادرت دقيقة من دقائق النَّصَفة، وكلٌّ فرقة نالت غاية رجائها في أمور الملّة، وما ضُيِّقَ على أحد كأيّام "الخالصة"، واسترحنا مُذْ علِقنا بأهدابها، فندعو لها ولأركانها ولأربابها. وأما القسوس فلا يأتيهم من هذه الدولة شيء يُعتدّ به من مال الإمدادات، بل اجتمع شملهم بما أنهم قبضوا من قومهم كثيرا من الصِّلاتِ ونصُّوا الإحالاتِ، وما برحوا يجمعون القناطير المقنطرة من عين الإعانات، وأموال الصدقات من النقود والغلاّت. فكل من دخل دينهم رتّبوا له وظائف وصِلاتًا، وزوّدوه بتاتًا، وجمعوا له شتاتًا. وكذلك قوَّى أمرَ قسيسين مالُهم، وزاد منه احتيالهم. استحضروا كل آلات الاصطياد والإِسار، واستعملوا من المجانيق الصغار والكبار. وأُنهِضَ إلى كل بلدةٍ جماعةٌ من المتنصّرين، فعمروا بِيَعًا وسكنوا فيها كالقاطنين، وجرَوا كالسيول في سكك المسلمين. وجعلوا يخادعون أهلها بأنواع الافتراء، ثم بإرسال النساء إلى بيوت الشرفاء. فالغرض أنهم زرعوا المكائد من جميع الأنحاء، وانتشروا كالجراد في هذه الأكناف والأرجاء، وقَلَوا كلَّ مَن أحيا معالم الهدى، وجعلوا بلادنا دار البلاء والرَّدَى. وملّتُهم الباطلة أحرقتْ

مجالس ديارنا وأكلتها، وما بقي دار إلا دخلتها، ولم يجد أهلُها العوامُّ للدفاع استطاعةً، ولا للفرار حيلة، فصُبّت مصائب على الإسلام ما مضى مثلها في سابق الأيام. فنراه كبلدة خاوية على العروش، وفلاة مملوءة من الوحوش. وإن بلادنا الآن بلاد انزعج أهلها، وتشتّتَ شملها، فليَبْكِ عليها من كان من الباكين.

ولقد كثُر أسفي على الآثار الأولى كيف زالت، وعلى أيام الهدى كيف أحالت، والناسُ تركوا المحجّة ومالوا إلى أودية وشِعاب ومنافذَ صِعاب، ومضايقَ غير رحاب. وكم من أناس كانوا يُزَجّون الزمان ببؤس في الإسلام، ويُنفِدون العمر بالاكتئاب والاغتمام، ثم رأوا في الملة النصرانية مرتعا، ووجدوا في أهلها مطمعا، فألجأهم شوائبُ المجاعة إلى أن يلحقوا بتلك الجماعة، فرفضوا مذهب الإسلام، وتنصّروا مِن بُرَحاء الوجد وبتأريج الشوق إلى الرَّفْهِ وشربِ المُدام. ثم مع ذلك كانوا من السفهاء والجهلاء، وما كان لهم نصيب من العلم والدهاء، ولا حظّ من العفّة والاتقاء. لا جرم أنهم آثروا أهواء النفس الأمّارة، وألْوَتْ بهم شِقوتُهم إلى الخسارة. وكذلك كثير من ذرية الأماثل والأفاضل والسادات، أجمعوا على الجنوح إليهم وسُقوا كأس الضلالات، بما آنسوا النصرانية تفتَح على المتنصرين أبواب إباحة، وتخرجهم من مضايقِ حُرمة وعدمِ حِلّة. ثم

يواسيهم القسوس في مُطرَّفِ أيامهم بمال ودولة، ولا يهدّدون ولا يتوعدون على معصية. ولا يبالغون في ملامة عند ارتكاب كبيرة، بما تَفيّأوا ظِلَّ كَفّارةٍ مطهِّرة. فكذلك يزيدونهم جرأة على جرأة حتى تكون الإباحة لأكثرهم دُربةً، ويحسبون سُهوكةَ ريّاها طِيبًا وطِيبة. ويتبرّأون من الإسلام، ويسبّون نبيّنا خير الأنام، ويقذِفون مُعادين بعدما كانوا مسلمين في حين، إلا قليلا من المستحيين. وكذلك يفعلون ليُرضوا القسوس ويستوعبوا الفلوس ويكونوا من المتموّلين. فيحصل لهم نضرةٌ بنُضّارهم، وزهرةٌ بإظهارهم، حتى يكونوا في رَفْهِهم كحديقة أخذتْ زُخرفَها وازّيّنت، وتنوّعت أزاهيرها وتلوّنت. وكذلك قسوسهم يحبّونهم بتلك الخصائل والسبِّ والهذيان والمجادلات وهَذَرِ اللسان، ويظنون أنهم التقَوا بأهداهم بخلوص الجنان، فيعتمدون عليهم في كل مَورد يَرِدُونه، ومعرَّس يتوسدونه. وتستهويهم خضرةُ دِمْنتِهم للمنادمة، وخُدعةُ سَمْتِهم بالمناسمة، ويُقبِلون عليهم بالمنّ والإحسان والجود والامتنان. فيسحَبون مَطارفَ الثراء، ويزيّنون مَعارفَ السَرّاء، ثم يمرّون بصَحْبٍ لهم كانوا هم من قبل كأسنان المشط في استواء العادات والميل إلى السيئات، وكانوا يكابدون أنواع الفقر والبؤس والحاجات، فيقُصّون عليهم قصصَ رخائهم بعد بأسائهم وضرّائهم، ويذكرون عندهم مَبَرّةَ

القسوس وجراياتِهم، وما أَترَعوا الكيسَ من الفلوس بعناياتهم. وكذلك لم يزالوا يحثّونهم وفي الأموال يرغّبونهم، وإلى وسائل الشهوات يحرّكونهم، إلى أن يَرينَ هوى التنصر على قلوبهم، ويُسفيَ هواءُ الطمع نورَ لبوبهم، فيوطِّنون نفوسهم على الارتداد، ويضربون عليه جَرْوتَهم لخبث الموادّ، ثم يرتدّون قائلين بأنهم كانوا طلاّب الحق والسَّداد.

والأصل في ذلك أن أكثر الناس في هذا الزمان قد تمايلوا على الدنيا وقلّتْ معرفة الله الديّان، وقَلَّ خوفه ولم تبق محبّتُه في الجنان، فلما رأوا زُخْرفَ الدنيا في أيدي القسوس مالوا إليهم برغبة النفوس، فلأجل ذلك يدخلون في ظلماتهم أفواجًا، ويتركون سِراجًا وهّاجًا. ولا تنفع المباحثة الخالية عن الخوارق عند هذه الآفات، فإن الدنيا صارت لهم منتهى المأْرَب ومُلِئَ الفساد في النيّات، فحينئذ اشتدّت الحاجة إلى تجديد الإيمان بالآيات. وطالما أيقظهم العالمون فتناعسوا، وجذَبهم الواعظون فتقاعسوا، وما نفعتهم البراهين العقلية، ولا النصوص النقلية، وزادوا طغيانا واعتسافا، وتركوا عدلا وإنصافا. فالسرّ فيه أن القلوب قد عمَتْ، والعقول قد كدرتْ، والنفوس قد فارتْ، وأهواء الدنيا عليها غلبت، وكثُرت الحجب وتوالت. فيرون ثم لا يرون، ويسمعون ثم يتناسون. فليس علاج هذا الداء إلا نور

يتنـــزل من السماء، وآيات تتوالى من حضرة الكبرياء، فإن الإيمان ضعف وكثرتْ وساوس الخنّاس، وبلغ الأمر إلى اليأس، وغلبت على أكثر القلوب محبّة الدنيا الدنيّة، وأينما وجدوها فيسعون إلى تلك الناحية، وما بقي تعلّقٌ بالإيمان والملّة. فههنا ليس رُزْءا واحدا بل يوجد رُزءان: رزءُ التنصر ورزءُ ضعف الإيمان.

وأرى أكثر المسلمين كأنما أُخرجَ الإيمان من قلوبهم، وأحرقت العملَ المبرور نارُ ذنوبهم، وهذا هو سبب الارتداد. فإن الله رآهم مفسدين مكّارين كالصيّاد، فقذَف بهم إلى جموعٍ يحبّون طرق الفساد، وهذا هو سرّ كثرة المرتدين، وعلى الصليب عاكفين، ومِن الله فارّين. ما ينفعهم وعظ الواعظين، ولا نصح الناصحين، ولم يكونوا منفكّين حتى تأتيهم البيّنة، وتتجلى الآيات المبصرة. فبعث الله رجلا على اسم المسيح في الملّة تَكْرِمةً لهذه الأُمّة، بعدما كمُل الفساد، وكثُر الارتداد، وعاثت الذئاب، ونبحت الكلاب، وألّفوا كتبًا كثيرة محتوية على السبّ والشتم والتوهين، وجلبوا على المسلمين بخيلهم ورَجِلهم وجاءوا بالإفك المبين، وزُلزلت الأرض زلزالَها، وأرى الضلالةُ كمالَها، وطال الأمد على الظالمين.

وقد كان وعد الله ﷻ أنه يكسر الصليب بالمسيح الموعود◉ ويُتمّ ما سبق من العهود، وإن الله لا يُخلف الميعاد ويفعل ما أراد. فكان من مقتضى الوعد أن يرسل مسيحه لكسر صليبٍ علا، والكريم إذا وعد وفى. وإنّ نقض العهود من سير الكاذبين، فكيف يصدر هذا مِن أصدق الصادقين؟ وهو ملكٌ قُدّوسٌ نورُ السماوات والأرضين، لا يُعزى إليه كذب ولا تخلُّفُ وعدٍ كالمخلوقين، وقد

◉ قد جرت عادة الله بأنه يستأنف للتجديد عزيمة جديدة عند تطرُّق الفساد إلى قلوب العباد، فلأجل ذلك تجلّى عليَّ لينفخ الروح في الأجساد، وجعلني مسيحا ومهديا وأرشدني بكمال الرشاد، ووصّاني بقولٍ ليّن وتركِ الشدّة والاتّقاد. وأمّا كسر الصليب فقد استُعمل هذا اللفظ في الأحاديث والآثار تجوّزًا من الله القهّار، وما يُعنى به حربٌ وغزاةٌ وكسرُ الصلبان في الحقيقة، ومَن زعم كذلك فقد ضلّ وبعُد من الطريقة. بل المراد منه إتمام الحجّة على الملّة النصرانية، وكسر شأن الصليب وتكذيب أمره بالأدلة الواضحة والحجج البيّنة. وإنّا أُمرنا أن نتمّ الحجّة بالرفق والحلم والتَؤُدة، ولا ندفع السيئة بالسيئة، إلا إذا كثُر سبّ رسول الله ﷺ وبلغ الأمر إلى القذف وكمال الإهانة، فلا نسبُّ أحدًا من النصارى ولا نتصدّى لهم بالشتم والقذف وهتك الأعراض، وإنما نقصد شَطْرَ الذين سبُّوا نبينا ﷺ وبالغوا فيه بالتصريح أو الإيماض. ونُكرِم قسوسًا لا يسبّون ولا يقذفون رسولنا كالأراذل والعامّة، ونعظّم القلوب النَّـــزِهة عن هذه العَذِرة، ونذكرهم بالإكرام والتكرمة. فليس في بيان منا حرف ولا نقطة يكسر شأن هذه السادات، وإنما نردّ سبّ السابّين على وجوههم جزاءً للمفتريات. منه

تنـــزّهَ شأنُه عن صفات المزوِّرين. انظرْ إلى وعده ثم انظرْ كيف بلغت دعوة الصليب ذُرَى كمالها، وقُطعتِ الأطماعُ عن زوالها، وترون أن خيامها كيف رسَتْ بحبالها، واستُحكمَ مَريرُ إقبالها، ودخل في دينهم أفواج من المسلمين، ومُلئت ديارنا من المرتدّين. وأيّ شيء أشدّ مضاضةً من هذا على المؤمنين الغيورين؟ وقد كذّبوا وما نفعتهم الذكرى وما كانوا منتهين. وكنا نرجو أن نُدخِل النصارى في أجيالنا والآن يُخلَس مِن رأس مالنا، ويُطمَع في إضلالنا. وقد فرّقوا الأبناء من الآباء، والأصادق من الأصدقاء، والأمهات من الأولاد، والعجائز من فِلَذِ الأكباد. فانظروا.. ألم يأنِ للإسلام الغريب أن يُنصَر بكسر الصليب؟◈ أما حان أن تظهر مواعيد الحضرة الأحدية، وقد دِيسَ الدين تحت أقدام النصرانية؟ وفكّروا.. ألم تقتضِ مصلحةُ حفظ الدين والملّة أن يبعث الله مجدِّدًا على رأس هذه المائة بالآيات والأدلة ليكسر ما بنى أهل الصلبان، ويُظهِر الدينَ على سائر الملل والأديان؟

أيها الإخوان.. قُوموا فرادى فرادى، ثم فكِّروا نَصَفَةً ولا تكونوا كمن عادى. أيُفتي قلبكم أن تبلغ المصائب إلى هذه الحالات،

◈ قد سبق منّا البيان في تأويل كسر الصليب، فليرجع إليه القارئ، وليعلم أن المعنى المشهور في العلماء من الأكاذيب. منه

وتضيق الأرض على المسلمين والمسلمات، وتكثر الفتن حتى ترتعد منها القلوب، وتزداد الكروب.. ثم مع ذلك لا تنـــزل نصرةُ الله من السماء، ولا يتمّ الوعد الحق مِن حضرة الكبرياء، وتمضي رأس المائة كجَهامٍ، ولا يُرى فيه وجهُ مجدِّد وإمام، ولا تغلي مِرْجَلُ غيرةِ علاّمٍ مع تَوالي الفتن وإحاطتِها كغمام؟ أهذا أمر تقبَله الفراسة الإيمانية، أو تشهد عليه الصحف الربّانية؟ أليس هذا وقت فتنة وبلاءٍ، وساعة حكم وقضاء، وفصل وإمضاء، وزمان إزالةِ التهم وإبراءٍ؟ أو هذه ثُلْمةٌ ما أراد الله أن يسدّ، وقضاء ما شاء الرحمن أن يردّ؟ كلا.. بل سبقتْ من الله من قبل بشارةٌ عند هذه الآفات، وملئت الكتب من التبشيرات، فمن الغباوة أن تُنسى البشارات، ولا يُرَى الآثار والأمارات. أليس حقًّا أن غلبة الصليب وشيوع هذا الدين القبيح مِن أوّل علامات ظهور المسيح؟ وعليها اتفق أهل السُنّة بالإقرار الصريح، و لم يبق فرد منهم مخالفا لهذا الحديث الصحيح. ولا يقبل عقل سليم وطبع مستقيم أن تظهر العلامات بهذه الشوكة والشأن، وتبلغ إلى حدّ الكمال طرقُ الدجل والافتنان، وتنقضي على شدتها برهةٌ من الزمان، ثم لا يظهر المسيح الموعود إلى هذا الأوان. مع أن ظهوره على رأس المائة من المسلّمات، وقد مضت المائة قريبا من

خُمسها وانتهى الأمر إلى الغايات*، وحان أن يرحم الله الضعفاء ويجبُر ضيق أمورهم، ويُخرجهم من قبورهم. وقد تعنَّى المنتظرون لأجل المسيح النازل، ودِيسوا تحت النوازل وارمدّتْ عيون المنتظرين.

أيها السادات والشرفاء! رحمكم الله وآتاكم منه الضياء، انظُروا وكَرِّروا النظر وأَمعِنوا.. أليس مِن وعد الله أن ينـــزل المسيح عند الزلازل الصليبية، فيُقبِل على المسلمين إقبالَ الرحمة والنصرة، ويُجزِل لهم الله طَوْلَه ويُتمّ قولَه بالفضل والمنّة؟ وتعلمون أن القسوس كيف غلبوا على أمورهم، وقلّبوا الأرض بظهورهم، وطال عليهم الأمد، فأين ما وعد الصدوق الصمد؟ وترون أن أفواجا من المسلمين ارتدّت وخرجت من هذه الملّة. ففكِّروا.. أليس هذا رزئيةً عظمى على الشريعة المحمدية؟ ثم مع ذلك سبّوا نبيَّنا المصطفى، وطعنوا في ديننا وبلّغوا الأمر إلى المنتهى. أمَكَّنَهم الله منّا وما مَكَّنَنا من العدا؟ تلك إذًا قسمة ضيزى. وإن كنتم تنظرون مصائب أخرى فإنّا لله على هذا الرأي والنُّهى. أتريدون أن ينعدم الإسلام كل الانعدام،

* لا يخفى أن المجدد لا يأتي إلا لإصلاح المفاسد الموجودة، ولا يتوجّه إلا إلى قلعِ ما كبر من السيئات الشائعة. ومن المعلوم أن الفساد العظيم في هذا الزمان هو فتنة أهل الصلبان، وهو الذي أهلكَ كثيرا من أهل البراري والبلدان، فوجب أن يأتي المجدد على رأس هذه المائة لهذا الإصلاح، ويكسر الصليب ويقتل خنازير الطلاح. ومن يكسر الصليب فهو المسيح الموعود، ففَكِّرْ أيّها الزكيّ المسعود. منه

ولا يبقى اسمه ولا اسم نبينا خيرِ الأنام؟ ثم يظهَر المسيح بعد فناء الملّة واختلال النظام. وأنتم تقرؤون أن الملّة لا ترى يوم الزوال بالكلّية، ولا تنفكّ منها آثارُ القوة والشوكة. وبينما هي كذلك فينـــزل المسيح المجدّد على رأس المائة، وهو يأتي حَكَمًا وعَدْلاً ويقضي بين الأُمّة، فيجمع السعداءَ على كلمة واحدة بعد افتراق المسلمين وآراء مختلفة. وأسماء هذا المجدد ثلاثة وذكرُها في الأحاديث الصحيحة صريح: حَكَمٌ ومهديٌّ ومسيح. أما الحَكَم فبما رُوِيَ أنه يخرج في زمن اختلاف الأمّة، فيحكُم بينهم بقوله الفصل والأدلة القاطعة، وعند زمن ظهوره لا توجد عقيدة إلا وفيها أقوال، فيختار القولَ الحق منها ويترك ما هو باطل وضلال. وأمّا المهدي فبما رُوِيَ أنه لا يأخذ العلم من العلماء، ويُهدى مِن لدن ربه كما كان سُنّة الله بنبيّه محمد خير الأنبياء، فإنه هُدي وعُلّم من حضرة الكبرياء، وما كان له معلِّم آخر من غير الله ذي العزّة والعلاء. وأما المسيح فبما رُوِيَ أنه لا يستعمل◉ للدّين سيوفا مشهَّرة ولا أسنّة مذرَّبة، بل يكون مُداره

◉ المراد من لفظ المسيح كما جاء في الحديث الصحيح مسيحانِ: مسيح قاسط خارج في آخر الزمان، ومسيح مقسط في ذلك الأوان، فالذي يُزجِّي أَمْرَه بالأسباب الرديّة الأرضية ويمسح كلَّ عَذِرة الأرض بالحِيل الدنيّة، ويستعمل أنواع التحريف والمكائد والتلبيس والخدعة، ويؤيد الباطل بسائر أقسام الدجل والدنس والتمويه والتغطية، فهو المسيح الدجّال وأمرُه التزوير وتزيين الباطل⇦

على مسحِ بركات السماء، وتكون حَرْبتُه أنواع التضرّعات والدعاء. فاشكروا الله أنه موجود في زمنكم وفي هذه البلدان، وأنه هو الذي يكلّمكم في هذا الأوان. وهذا يوم تنــــزل فيه البركات، وتظهر الآيات، ويعود الإيمان الغريب إلى موطنه، ويخرج لؤلؤ العلم من معدنه. هذا هو اليوم الذي توجستْ منه قلوب الكفار، وانبجستْ رِقّةً عيونُ عيونِ الأبرار. وهذا يومُ تيقُّظِ الغافلين ورِقّة المتيقّظين. وهذا يوم القبول والردّ من رب العالمين.

أمّا الذين قبلوا فترى وجوههم متهلّلة مستبشرة عارفة، وأمّا الذين ردّوا فوُجوههم كالحةٌ دميمة مستنكَرة، وكلٌّ يرى ما كسب في هذه والآخرة. فمن جاء الصادقَ مصدّقًا، فقد صدّق الرسولَ مجدَّدًا، وجمَع شملاً مبدَّدا. ومن أعرض عن الصادق فعصى نبيَّ الله وما بالى التهدّدَ. وما أقول من تلقاء نفسي بل هذا ما قال ربي وأكّد القول وشَدَّدَ. ابتُليتْ ببعثتي جموعُ الزهّاد والعبّاد، ولا يعرفني إلا

⇔والإضلال. والذي يفوّض كلَّ أمره إلى حضرة الكبرياء، ويقطع الأسباب ويبعد منها ويعكف على الدعاء، ويسعى من الأسباب إلى المسبّب حتى يمسَح بتوكّله أعنان السماء، فذلك هو المسيح الصدّيق، وأمرُه تأييد الحق وكلَّ ما ينجو به الغريق. والمسيح اسم مشترَك بينهما: مسيحُ العُلى ومسيحٌ تحت الثرى، وسُمّي المسيح الصدّيق عيسى لِما عِيسَ مِن بطشة القوم كابن مريم إمام الهدى، وعيسَ مِن جور السلطنة مع الضعف والمسكنة وتهاويلَ أخرى. منه

قلوب الأبدال والأوتاد، وأما علماء هذه البلاد فماتت قلوب أكثرهم وبعُدوا من السَّداد، وذهب الله بنور هدايتهم وضياء درايتهم، وتركهم كالمخذولين. يكفّرون ولا يعرفون من يكفّرونه ويعمهون، ويُعرِضون عن الحق ولا يقبَلون، ويرون آيات الله ثم لا يهتدون. يسبّونني ويشتمونني ويسعون لإجاحتي ويمكرون. ويسخَرون مني ومن جماعتي وبسوء الألقاب ينبِزون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

ثم اعلموا يا جموعَ كرام، أني أُلهمتُ مذ أعوام، وأُمرت من ربّ علاّم، أن أُظهِر على خواص وعوامّ، أن المسيح الصديق الذي وُعِدَ نزولُه لهذه الأُمّة عند شيوعِ فتنِ حُماة الصليب والكفّارةِ، **هو هذا** العبد الذي بُعِثَ على رأس المائة، وأُمِرَ أن يُتمّ حجّة الله على أهل الصلبان والفدية، ويكسر غُلُوَّهم بالأدلة القاطعة، ويقوّي بالآيات أمر الملّة، ويقطع معاذير الكَفَرة، ويأتي بمتاع جديد للمُقْوِين. ويبشّر للطالبين الذين يطلبون مرضاة ربهم ويحبّون خاتم النبيين، عليه صلوات الله والملائكة وأخيار الناس أجمعين.

وقد سبق البيان مني أن هذا الوقت وقت ظهور المسيح الموعود، وقد تمّتْ كلمة ربنا صدقًا وحقا وأوفى بالعهود. وكيف لم يعرف وقد طال أمد الانتظار، وظهر كلُّ ما ورد من الآثار، وقد مضت

مدّة على صراصر الفتن الصليبية، وارتدّ فوج من الأمم المحمدية، وما بقي بيت إلا دخلت فيه نصرانية، وقلّتْ على الأرض أنوار إيمانية. فأرسلني الرب الرحيم في هذه الأيام، وزاد معرفتي بتوالي الوحي والإلهام، وقوّاني بخوارقَ وكشفٍ كالبدر التامّ. ووهب لي عِلْمَ دقائق القرآن، وعِلْمَ أحاديث رسوله وما بلّغ من أحكام الرحمن، وفهّمني أنه ما قدّم وما أخّر وعده من الأوان، بل أنزل أمره على رأس الوقت والزمان. ومع ذلك كنتُ ما يسرّني قليل من الآيات والعلامات، بل كنت أستقلُّ الكثيرَ لفَرْطِ اللَّهَج والرغبة في البيّنات من الشهادات، وكنت ما أرضى من الاستيفاء باللَّفاء، وما أقنَعُ من شمس الهَجْر بأقلّ الضياء، بل كنت أجتنب منهَلاً كَدُرَ ماؤُه، وما كَمُلَ صفاؤه. فتوالتْ آياتُ ربي لتسليتي، حتى اطمأنت مُهْجتي ولمعتْ محجّتي. وأُعطيتُ بصائرَ من الله المنّان، وغُذّيتُ بلبان السكينة والاطمينان، ودُرِئَ عن نفسي كلُّ شبهة، ونُوّرتُ من أيدي الحضرة بأشعة مُومِضة. ووضَح لي بصدق العلامات، وتلألُؤِ الآيات، وشهادةِ صحف رب السماوات، وخبرِ سيد الكائنات.. أنني أنا المسيح الموعود، وأنه تمّتْ بي المواعيدُ والعهود. وإنّ الله فعل ما شاء، وله التخيّر في كل ما أحسن في زعمكم أو أساء. يُلقي الروحَ على من يشاء، ولا يُسأل عما يفعل وهو مالك السماوات والأرضين.

وكنت أعلم أن العلماء يكذّبونني ويجعلونني غرضًا للسهام، ويقولون إنه شقَّ العصا وخرج من إجماع أئمة الإسلام. فوالله ما خشيتُهم وما سترتُ أمرًا أُوحيَ إليّ من الله العلاّم. وأيُّ ذنب أكبر من أن يُكتَم الحق مِن خوف الأنام؟ وما وردتُ هذا المورد مِن غير الأمر والإعلام، وما كان لي أن أستقيل من هذا المقام. وما جئت كطارق إذا عَرا، بل جئت كبدرٍ طلَع في أُمّ القرى، وعندي شهادات لمن يرى، وآيات لقلبٍ وعى. وقد شهد الزمان أن الأوان هو هذا الأوان، بما ظهرت الصلبانُ وزادت الغواية والطغيان. وترى القسوسَ◈ كيف هوّلوا النفوس، وذعَر الناسَ نَسْلُهم والرَّمَّلانُ، وقذفوا خيرَ الرسل ورُفِعَ الأمان. فمن كان بعد ذلك لا يرى

◈ إنّا ذكرنا غيرَ مرةٍ كيدَ القسوس، وما نعلم كيف يكون أثرُه على النفوس، فاعلموا أنّا لا نريد بهذه الكلمات أن يُدفَع سيئاتُهم بالسيئات، بل الواجب على المؤمنين أن يصبروا على إيذائهم ويدفعوا بالحسنة سيئاتِهم الذي• نشأت من أهوائهم، ولا ينظروا إلى سبّهم وازدرائهم. فإن الله تبارك وتعالى أوصى لنا بالصبر في القرآن، وقال تسمعون أذى كثيرا منهم والصبر خير في ذلك الأوان، فمن لم يصبر فليس له حظ من الإيمان. فاصبروا على إيذاء القسوس واتقوا، وإذا شتموا فلا تشتموا، وادْعوا لأعدائكم واسترشِدوا، واذكروا طَول الدولة البرطانية واشكروا ولا تكفروا، وارحموا تُرحَموا. منه

• *سهو، والصواب: التي. (الناشر)*

ضرورة عبد يكسر الصليب، ويُري الآياتِ ويؤيّد الدينَ الغريب، وكان يحار في أمري فهمُه، ويفرُط وهمُه، حتى لا يُدرِك هذا السرَّ غورُ عقلِه، ولا يُحِبُّ بهذا الثمر لُعاعُ حقله، بل يرتاب بعَزْوتي، ويأبى تصديق دعوتي، ويضطر إلى طلب الآيات أو النصوص والبينات لإزالة ما عراه من الشبهات، فها أنا قائم لمواساته كالإخوان، وأُلبّي دعوتَه تلبيةَ خائف على ضجيج العطشان، وسأروي غُلّتَه بزُلال البرهان وأصفى البيان.

وأمّا النصيحة التي هي مني بمقتضى المحبّة وإخلاص الطويّة، فهي أن لا ينهض أحد على خلافي إلا بصحة النيّة، والذي يُباريني طالبًا للنصوص والحجج والأدلّة، أو مُصِرًّا على طلب الآي والخوارق السماوية، فعليه أن يرفُق عند المسألة، ويراعي دقائق التقوى والهَون والتُؤَدة، ولا يخرج من الأدب وحسن المخاطبة. فإنه من عارض أهل الحق وأهل القدّوس القدير، وخالف عبدًا أُيِّد من الربّ النصير، فمثله كمثل رجل ولَج غابة ليصطاد قسورة، وما أعدّ له عُدّة، وإن صيد الأسود ولو بالجنود أمر عسير، فكيف اصطياد آساد الله، فإن لهم شأن كبير، لا يباريهم إلا شقيّ أو ضرير. ولا يفتري على الله إلا أشقى الناس، ولا يكذّب الصدّيقَ إلا أخ الخنّاس.

وقد ظهرت مني الآيات، وقامت الشهادات، ولكني أرى أكثر

علماء هذه الديار قد كبر عليهم الإقرار بعد الإنكار، وقد جرتْ سُنّتهم أن أحدا منهم إذا غلط في الإفتاء وهوى في وَهْدة الأخطاء، فشقَّ عليه إلى آخر عمره أن يرجع إلى الصواب وينتهج مهجّة أولي الألباب، أو يُغني عنه الندم بعدما زلّت القدم. فيا حسرة عليهم.. أنهم لا يتّقون الله ويعلمون أنهم بمرآه وتَرْبَؤُهم عيناه. يرون آيَ الله ثم لا ينظرون، ويُبلَون كلّ عام ثم لا يتوبون، وقد تمّت حجّة الله عليهم ثم لا يخافون. وإني أرى أن أكتب في رسالتي هذه بعض الآيات التي أظهرها الله لإزالة الشبهات، لعل الله ينفع بها بعض الصالحين والصالحات من المؤمنين.

فمنها أن الله تعالى بعثني على رأس المائة، وأرسلني عند غلبة أهل الصلبان وشيوع سَمْرِ الكَفّارة، وأمَرني عندما استعرّتْ جمرُهم وعلا أمرُهم، وتقضّتْ قسوسُهم على العامة، وفتحوا أبواب الارتداد على وجوه الفَجَرة، وحرّكوا صفائحها بأهوية الإباحة، وتراءتْ فتن مهلكة وظهَر هول القيامة، ووهبَ لي لكسر الصليب معرفة لا يوجد نظيرها في أحدٍ من أهل الملّة. وإن كتبي شهادة قاطعة على هذه الخصوصية، وقد أفحمتُ بها حُماةَ النصرانية، فما استطاعوا أن يأتوا بالمعاذير المعقولة، أو ينقضوا أحدًا من الأدلة. وكان وقتي هذا وقتَ كانت العيون فيها مُدّتْ إلى السماوات من شدّة الكربة، بما

أضلّ الناسَ أهلُ الدجل بكل ما أمكن لهم من الإطماع والاختضاع والخديعة. ثم مع ذلك كثر التشاجر في هذا الزمان بين الأمّة، وما بقي عقيدة إلا وفيه اختلاف ونزاع في الفرق الإسلامية، واقتضت الطبائع حَكَمًا ليحكم بالعدل والنَّصَفة، فحكّمني ربّي وأراد أن يرفع إليّ مشاجراتهم وأقضي بينهم بالحق والمَعْدلة. إن في هذا لآية لقوم متفكرين، بل هي من أعظم آي الله عند حزب متدبّرين.

ومن آياتي أنه تعالى وهب لي مَلَكة خارقة للعادة في اللسان العربية، ليكون آية عند أهل الفكر والفطنة. والسبب في ذلك أني كنت لا أعلم العربية إلا طفيفا لا تُسمّى العِلميّة، فطفق العلماء يقعُضون ويكسرون عُودَ خبرتي ومخبرتي، ويتزرَّون على علمي ومعرفتي، ليُبرّؤن العامةَ مني ومن سلسلتي، وشهروا مِن عندهم أن هذا الرجل لا يعلم صيغة من هذه اللسان، ولا يملك قُراضة من هذا العقيان. فسألتُ الله أن يكمّلني في هذه اللهجة، ويجعلني واحد الدهر في مناهج البلاغة. وأَلَحْتُ عليه بالابتهال والضراعة، وكثُر اطّراحي بين يدي حضرة العزّة، وتَوالى سؤالي بجهد العزيمة وصدق الهمة وإخلاص المُهْجة. فأُجيب الدعاء وأوتيتُ ما كنت أشاء●، وفُتحت

● قد جاء في الآثار وتواترَ في الأخبار أن المسيح الموعود والمهدي المعهود قد رُكّبتْ نَسْمتُه من الحقيقة العيسوية والهويّة المحمدية.. شطرٌ من ذلك وشطرٌ من هذا، والبعض لبعض آخر حاذَى، وروحانيتهما سارية في وجوده، بل إنما هي نار

لي أبواب نوادر العربية واللطائف الأدبية، حتى أمليت فيها رسائل مبتكَرة وكتبا محبَّرة. ثم عرضتُها على العلماء وقلت يا حزب الفضلاء والأدباء.. إنكم حسبتموني أُمّيًّا ومن الجهلاء، والأمر كان كذلك لولا التأييد من حضرة الكبرياء، فالآن أُيّدتُ من الحضرة، وعلّمني ربي من لدنه بالفضل والرحمة، فأصبحت أديبا ومن المتفرّدين، وألّفت رسائل في حُلل البلاغة والفصاحة، وهذه آية من

وَقوده، ظهرتا فيه على طَور البروز، وهما بوجوده كالسرّ المرموز. وكان من الشؤون المحمدية بلاغةُ الكلام كما أشار إليه إعجازُ كلام الله العلاّم، فأُعطيَ منه حظٌ للمسيح الموعود ليدلّ على الظِلّيّة واتحاد الوجود، لئلا يكون طبيعتُه فاقدةً لهذا الكمال، فإن الحرمان لا يليق بشأن الظلال. فوجد غضًّا طريًّا من هذه الشجرة الطيبة، وغمَره ماءُ ظِلّيّة النبوة كما هو شأن الكُمَّل من الأُمّة. وكذلك وجد إرثًا من كمالات ابن مريم، عليه سلام الله وعلى نبينا الذي جعله الله أشرف وأكرم. ولما كانت حقيقة المسيح الموعود مغمورةً في الحقيقتين المذكورتين، ومُضْمَحِلّة متلاشية فيهما ومنعدمَ العين، ومستتبعة لصفاتهما في الدّارَين، غلب عليها اسمهما و لم يبق منها اسم ورسم في الكونين، وانعدم المغلوب وبقي فيه اسم الغالب، وتقررَ له في السماء اسم هذين المباركَين. هذا ما أوقعه الله في بالي وتلقّاه حَدَسي وفراستي من لدن ربي لإكمالي. وأما العقيدة التي هي مشهورة بين المسلمين، وسمعتموها ذاتَ المِرار من المحدِّثين، فإنما هي كَلِمٌ كَشْفيّةٌ خرجتْ من فم خير المرسلين، وأخطأ فيهما بعض المؤوّلين، وحملوها على ظواهرها وكانوا فيه خاطئين. والآن حصحص الحق وتراءى الصراط لقوم طالبين. منه

ربي لأولي الألباب والنصفة، وعليكم حُجّة الله ذي الجلال والعزّة. فإن كنتم من المرتابين في صدقي وكمال لساني، والمتشككين في حسن بياني وتبياني، ولا تؤمنون بآيتي هذه وتحسبونها هذياني، وتزعمون أني في قولي هذا من الكاذبين.. فأْتوا بكتاب من مثلها إن كنتم صادقين. وإن كان الحق عندكم كما أنكم تزعمون، فسيُبدي الله عزّتكم ولا تُغلَبون ولا ترجعون كالخاسرين، فلا يُعاتبكم بعده معاتبٌ، ولا يزدريكم مخاطب، ويستيقن الناس أنكم من الأمناء ومن الصالحين. وإن كنتم لا تقدرون عليه لقلّة العلم والدهاء، فانهضوا وادْعوا مشهورين منكم بالتكلم والإملاء، والمعروفين من الأدباء. وإني عرضت عليكم أمرًا فيه عزّة الصادق وذلّة الكاذب، وسينال الكاذبين خزيٌ ونَصَبٌ من العذاب اللازب، فاتقوا الله إن كنتم مؤمنين. فما كان لهم أن يأتوا بمثل كلامي، أو يتوبوا بعد إفحامي، وظهرت على وجوههم سواد وقحول، وضمر وذبول، وغشِيهم حَينٌ وإحجام، وجهلوا كل ما صَلِفوا و لم يبق لهم كلام. وجاءني حزب منهم تائبين، وكثير حق عليهم ما قال خاتم النبيين عليه الصلاة والتحيات من رب العالمين.

ثم اعلموا يا حزب السامعين.. أن هذه آية استفدته من روحانية خير المرسلين بإذن الله رب العالمين.

وقال السفهاء من الناس إنه دعوى يضاهي دعوى القرآن، فهو بعيد مِن حسن الأدب والإيمان.

وما هو إلا قول الذين ما عرفوا حقيقة الولاية، واعتراهم ظلام العماية والغواية. وقد سبق البيان منّا أن الكرامات ظلال باقية للمعجزات، وموجبة لزيادة البركات، وتجِد السُنّةَ والكتابَ مُبيِّنيْن لهذه المسألة، وشاهديْن على هذه الواقعة، ولا تجد من يخالفها إلا غويًّا من العامة. فإن أبصار العامّة لا تبلغ الحقائق ويعمى عليهم دقائقُ الشريعة، فيحسبون في كمالات الولاية كَسْرَ شأن النبوّة، مع أن الأمر خلافه عند أهل التحقيق والمعرفة.

ومن آياتي الخسوف والكسوف في رمضان، وقد فصّلتُ في رسالتي "نور الحق" هذا البرهان. وكنت لم أزل ينتابني نصرُ الله الكريم إلى أن ظهرت هذه الآية من ذلك المولى الرحيم، وكان مكتوبا في الأحاديث النبويّة أن هذه للمهدي وظهوره من الدلائل القطعية. فالحمد لله الذي أجزل لنا طَوله وأنجز وعده وأتمّ قوله، وأرى آيات السماء ويَسَّرَ للطالبين طرق الاهتداء، وأظهر سناه لمن أَمَّ مسالكَ هُداه، وكشف الأمر لأولي النهى، وأرَى الحقَّ لمن يرى، وجرَّد آيَه كالعَضْب الجُراز ليُفحِم كلَّ من نهض للبِراز وليُتمّ حجّته على المنكرين. فإن ظنّ ظانّ أن ظهوري عند سطوة النصرانية وعند

سيل الصليب وعلى رأس المائة، ليس بدليل قاطع على أنّني من الحضرة، وكذلك إن زعَم زاعم أن إملائي في اللسان العربية وما حوَتْ معرفتي من اللطائف الأدبية، وكلّ ما أُرضعتُ ثديَ الأدب في هذه اللهجة، ليس بثابت أنها من آي الله ذي الجلال والعزّة، بل يجوز أن يكون ثمرة المساعي المستورة المستترة، وأن الأرض لا تخلو من كيد الكائدين.. فما رأي هذا الظانّ العَسوف في آية الخسوف والكسوف؟ أتلك كيد الإنسان أو شهادة من الله الوليّ الرؤوف؟

وأما تفصيل هذه الآية كما ورد في كتب الحديث من آل خير المرسلين.. فاعلموا يا حزب المؤمنين المتقين أن الدارقطني قد روى عن محمد الباقر من★ ابن زين العابدين، وهو من بيت التطهير والعصمة ومن قوم مطهَّرين، قال قال ﷺ وهو من الأمناء الصادقين: إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خُلِقَ السماواتُ والأرضون، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان.. يعني في أول ليلة من ليالي خسوفه ولا يجاوز ذلك الأوان، ويقع في الشهر الذي أنزل الله فيه القرآن.. وتنكسف الشمس في النصف منه.. يعني في نصفٍ مِن أيام كسوفها المعلومة عند أهل العرفان، في ذلك الشهر المُزان. وأخرج مثلَه البيهقي وغيره من المحدّثين. وقال صاحب "الرسالة الحشرية"، وهو

★ *الظاهر أن "مِن" قد زيدت هنا سهوًا. (الناشر)*

في هذه الديار من مشاهير علماء هذه الملّة، إن القمر والشمس ينكسفان في رمضان، وإذا انكسفا فيعرِف المهديَّ بعده أهلُ مكة بفراسة يزيد العرفانَ. وفي روايات أخرى من بعض الصلحاء أن المهدي لا يُعرَف إلا بعد آيات كثيرة تنـــزل من السماء، وأما في أوّل الأمر والابتداء، فيكفَّر ويكذَّب ويُعزَى إلى الدجل والتلبيس والافتراء، وتُكتَب عليه فتاوى الكفر والخروج من الشريعة الغرّاء، ويقال فيه كل ما قال الكافرون في الأنبياء. ثم توضع له القبولية في الأرض من حضرة الكبرياء، فلا يوجد اثنان من المؤمنين إلا ويذكرونه بالمدح والثناء.

ثم اعلم أن آية الخسوف والكسوف قد ذكرها القرآن في أنباء قُرب القيامة، وإن شئتَ فاقرأْ هذه الآية وكرِّرها لإدراك هذه الحقيقة: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾*، ثم تَدبَّرْ بالخشوع والخشية. ولا يذهبْ فكرُك إلى أنه من وقائع القيامة، وإيّاك وهذه★ الخطأ الذي يُبعِدك من المحجّة. فإن الخسوف الذي ذُكر ههنا هو موقوف على وجود هذه النشأة الدنيوية، فإنه ينشأ من أشكال نظامية، وأوضاع مقرّرة منتظمة،

* سورة *القيامة: ٨-١٠*

★ *سهو، والصحيح: هذا. (الناشر)*

ويكون في الأوقات المعيّنة والأيام المعلومة المشتهرة، ولا بدّ فيه من رجوع النيِّريْن إلى هيئتهما السابقة بعد خروجهما من هذه الحالة. وأما الآيات التي تظهر عند وقوع واقعة الساعة فهي تقتضي فسادَ هذا الكون بالكلية، فإنها حالات لا تبقى الدنيا بعدها ولا أهلُ هذه الدار الدنيّة. والخسوف والكسوف يتعلقان بنظام هذه النشأة، ويوجدان فيه مِن بدوّ الفطرة. فثبت أن الخسوف الذي ذكره القرآن في صحفه المطهرة هو من الآثار المتقدمة على القيامة، ولِقيام القيامة كالعلامة.

وإني كتبت هذه المباحث مفصّلةً في رسالتي "نور الحق" التي ألّفتها في العربية، وأودعتُها عجائبَ آية الخسوف والكسوف إتمامًا للحجة. وكنتُ كتبت في تلك الرسالة التي ألّفتها لبيان آية الخسوف والكسوف أني عُلّمتُ من ربي الرحيم الرؤوف أن العذاب يحلّ على قوم لا يتوبون بعد هذه الآية، ولا يقدّمون الدين على الدنيا الدنيّة. وكذلك سُلّط الطاعون بعدها على أكثر غافلي هذه الديار، وأُحرقَ ألوف من الناس بتلك النار، وأُرسلَ على كل غافل شُواظٌ منها، فماتوا بجمرها وأُخرجوا من القرى والأمصار. وما انطفأ إلى هذا الوقت هذا الضِّرام، ويرعد على الرؤوس الحِمامُ، ونرى الأمر كما تواترَ فيه الإلهام. إن في ذلك لآية لقوم متقين.

وكذلك كنتُ كتبت في تلك الرسالة أن الله سينصر أهل الحق بعد هذه الآية، فيزيد جماعتهم ويتقوى أمرهم من عنايات الحضرة، واللهُ يُنـــزل آياتِه ويُشيع في الناس دقائق المعرفة. فصدّق الله هذه الأنباء كلها بالفضل والرحمة، وأرى الآياتِ ونصر بالتأييدات لقطع الخصومة، وزاد جماعتي كما وعد وجعَلها لبيضة الإسلام كرُكنٍ شديد والأسطوانة، وإنا سنذكر بعضها إظهارًا لهذه الموهبة. فالحمد لله على هذه المنّة، وإن في ذلك لآية لقوم متفرّسين.

ومِن نوادر آياتي التي ظهرت بعد وعد الله في آية الكسوف والخسوف، وانتجعتْ في ألوف من القلوب بإذن الله الرؤوف، هو واقعةُ هلاك رجل كان اسمه "لَيكهرام"، وكان من قوم عَبَدة الأصنام، وكان شديد الحقد يعترض على الإسلام، ويسبّ نبيَّنا خيرَ الأنام عليه ألف ألف سلام. وتفصيل هذه القصة أنه سمع من بعض الإخوة أن رجلا في القاديان يدّعي الإلهام والكرامات، ويقول إن الإسلام هو الدين عند الله رب السماوات، ومَن خالفه فهو من المبطِلين. فما زال يُعجبِه هذا الخبر حتى قصَد القاديان ذات مرة وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة أو قليل منه، كما علمنا مِن وجهه فراسةً، فجاءني وسأل عن الآيات، وأظهر أنه لا يبرح الأرض أو يرى بعضَ خَرْقِ العادات، أو يأخذ مني إقرارَ العجز عند هذه السؤالات، وأصرّ

على أن يؤانس آيَ الله أمام ارتحاله، وكان جَهولاً غيرَ متأدّب في مقاله. فطفق يُبلِطني لرؤية الآية، ويُخجِئني من العماية، فإنه كان جسدًا له خُوار، وما أُعطيَ له روحُ فراسة ولا افتكار. وكان احتكاء في جنانه أن هذا الرجل كاذب في بيانه، وكذلك انتقش في قلبه مِن خَدْعِ أعوانه، وحمئتْ بهم بئرُ عرفانه. ووافاني ذاتَ المرار، فألحَّ عليّ وأبلطَ بكمال الإصرار، ونظر إليّ شذرًا بالاستكبار، وقال إني لن أفارق هذه القرية إلا وتُريني الآيةَ، أو تُقِرَّ بكذبك وبما اخترتَ الفِرْية. وساء الحُضّارَ ما اختار من غِلظ وشدّة، فبرّدتُهم بوصيةِ صبر وتُؤَدة، وكانوا من الذين أخذوا مَربَعي مُنتجَعَهم، وداري مَحضرَهم، وحسبوا إلهامي مَرتعَهم ومَخبَرهم. ثم قلتُ له يا هذا إن الآية ليست كشيءٍ ملقاةً تحت الأقدام لألقُطه لك وأعطيك كالخادم بالإكرام، بل الآيات عند الله يُري إذا ما شاء، ولا ينفع الوثب كثور الوحش فإياك والمِراءَ، والصبرُ حقيق لمن طلب آيَ الله وجاء يستقري الضياء، فإنه أمرٌ ينــزل من حضرة العزّة، ويحتاج ظهوره إلى تضرّعات العبودية. فاحبِسْ نفسَك عندنا إلى حَولٍ، وهذا خير لك من سبّ وصَول، لعل الله يُريك آية ويهَب يقينا وسكينة، وكذلك نرجو من الله المنّان، فاصبرْ معنا إلى هذا الأوان، إن كنت من الطالبين. فما نجعتْ نصيحتي في جنانه، وما انتهى من

هَذْرِه وهَذَيانه. فقلتُ أيها الرجل.. إن كنتَ لا تصبر وتعزم على الرحيل، ولا تختار ما أريناك من السبيل، فلك أن تذهب وتنتظر الإلهام. فذهب مغاضبا وترك الكلام.

ثم جعل يذكرني في محافل بتوهين وتحقير، وأراد أن يجُزّ أمري ويُرِيَه قومَه كشيء حقير ومتاع كَقِطْمير. فاستعمل الأكاذيب لتكميل هذه الإرادة، واشترى الشقاوة وبعُد من السعادة. وكم من مفتريات افترى، وكم من بهتان أشاعه مِن حقد وهوى. وصار شغلُه سبَّ نبيِّنا المصطفى، وتكذيبَ كتابنا الذي هو عين الهدى. وكم من كتبٍ أطال المِقْوَلَ فيها وهَذَى، وطفق يهتك أعراض العِلْيةِ وبدورِ العُلى، ونُخَبِ حضرة العزّة وأحبّةِ ربّنا الأعلى. وما خشِي نكال الآخرة والأولى. وهاجتْه الحميّة والنفس الأبيّة على قذفِ رسولنا خيرِ الورى، فكان لا يخلو وقتُه من سبّ سيّدنا المجتبى. وكان في الشتم كسيلٍ هامر وماءٍ غامر أو أشدّ في الطغوى. وكانت هذه العَذِرة كل حين في شفتيه، وجنونُ الغيظ في عينيه، وما خاف وما انتهى. فالحاصل أنه كان يريد أن يحقّر الإسلام في أعين الناس وعامّة الورى، ويُشيع بينهم تعليم الخنّاس ويصرف عن الهدى. وكان الله يريد أن يُجفئ قِدْرَه ويُرِيَ الناس قَذَرَه، ويُري الرّائين آيته الكبرى.

فلما تجلّى ربُّنا للميقات، وجاء وقت الآيات، كتب إليّ على عزم السخرية والاستهزاء، وقال: أين آيتك ووعدك؟ ألم تظهر حقيقةُ الافتراء؟ وغلَّظ عليّ كما هي عادة السفهاء، وأخذني بالعنف كالغرماء. وجرّأه مشركو هذه القرية على مطالبة الآية، وكانوا يعلّلونه بالقصص الباطلة ليزول منه الرعب ويأخذه نوم الغفلة. وكانوا ينفخون في آذانه أن هذا الرجل كاذب مَكّار، فلا يأخذك رعبُه ولا اسبطرار. فوالله ما أهراقَ دمَه إلا هذه الكذابون، فإنهم أغرَوه عليّ وكانوا يحلِفون، وما أحسنوا إليه بزُورهم بل كانوا يسيئون. فقسا قلبه بكلماتهم، وآمنَ بمفترياتهم، وتلطّخ برجس الشياطين، وصار أشدَّ خصومة في الدين. وكان في أوّل أمره مالَ إلى صحبتي، لعله يرى أماراتِ حَقِّيّتي، فبطّأ به هؤلاء خوفًا من أثر الصحبة، وقالوا ما تطلُب منه وإنا نحن من أهل التجربة؟ وهو تبوّءَ القاديانَ إلى شهر تامّ، وأخذ أنواع مفتريات من لئام، حتى أوقدوه كنار الجحيم، وسوّدوا قلبه ولا كسواد الليل البهيم، ثم رحل بعد أخذ هذه التعاليم، وطفق يطالب مني آية من الآيات، وقد اضطرمتْ في قلبه نار المعاداة، وكان ينكر في نفسه مِن عجائب رب السماوات، وأصرّ على الطلب ليكون له وقعٌ في أعين المشركين والمشركات.

ولما قصد الرحيل وختم القال والقيل.. رأيتُ أني مقيم في صحنِ مكان كالشجعان، وفي يدي رمح ذابل حديد السنان، كثير البريق واللمعان، وأراه أمام عيني ميّتًا على التراب، وأطعن رأسه بنيّة الإنصاب، ويتلألأ سِناني عند كل طعني ويبرق كالشهاب، ثم قال قائل: ذهب وما يرجع قط إلى هذه الحِداب. فوالله ما رجع حتى نعاه إلينا بعض الأصحاب.

وتفصيل هذه القصة أنه لما فصَل من هذه البُقعة، جعل يصرّ على تطلُّبِ آيِ الرحمن، مع السبّ والشتم وكثير من الهذيان. فخررتُ أمام الحضرة، وتبصبصتُ لله ذي العزّة، ودعوت الله في آناء الليل بالتضرّع والابتهال، وأقبلت على ربّي بذوبان المُهْجة وتكسُّر البال. فألهمني ربّي أنه سيُقتَل بعذاب شديد، بحَرْبة في ستّ سنةٍ في يومٍ قرب يوم العيد، بإذن الله الوحيد. فأخبرتُه عن هذا الإلهام، فما خاف بل زاد في السبّ وتوهين الإسلام، وكتب إليّ أني أُلهمتُ أنك تموت بالهَيضة إلى ثلاث سنةٍ، وطبَع هذا النبأ وشهّره وأشاعه في أقوام مختلفة، وأرسل إليّ أوراقه التي كانت كأضحوكة، وكتَبه في بعض كُتُبه وذكَره في محافل غير مرّة. فكتبتُ إليه أن الأمر في أيدي الرحمن، فإن كنتَ صادقا فيُري صدقَك أهلَ الزمان. وإن كان الصدق في قولي فسيُظهِره بالفضل والإحسان. إنه مع الذين اتقوا

والذين صدقوا في القول والبيان، إنه لا ينصر الكاذبين.

فمضى زمان على نَبَئِه الكاذب بخير وعافية، وما تغيّرَ منا جزء من شعرة واحدة. ولما قرُب ميقات ربي في أمر حِمامه، وأتتْ عليه السنة الخامسة من أيامه، وكان يضحك ويقيس إلهامي على زُور كلامه، اتفق أنه دخل عليه رجل من المسافرين، وأظهر أنه كان من قومه الآريين⊙، ثم أدخلَه في الإسلام بعضُ الخادعين، والآن جاء متندّمًا كالطالبين الخائفين، ويريد أن يرجع إلى دين آبائه ويترك المسلمين. ومدَحه وقال أنت كذا وكذا وللقوم كالرأس، وأيقظتَ كثيرا من النعاس، وقد انتشر ذكرك وسُمع كمالك في الردّ على الإسلام، فجئتك من أقصى البلاد لأستفيض من فيضك التام. والناس منعوني فما استقلتُ من الإرادة، ووصلتُ حضرتك للاستفادة، بيد أني أسير في بعض الشبهات، وأرجو أن تُقيل لي عِثاري وتكشِف عُقَدَ المعضلات، ثم أدخُل في دين آبائي وأترك الإسلام، فهذا هو الغرض وما أطوّل الكلام.

فأمعنَ "لَيكرام" نظره في توسّمه، وسرّح الطرفَ في ميسمه، فلبّس عليه أمرَه قدرُ الرحمن، وظن أنه من الصادقين ومن الإخوان. فتلقّاه مرحّبًا وقال رجعتَ إلى دار الفلاح، وامتزجَ به كالماء والراح.

⊙ *الآريون أو الآرية هم فرقة من الهندوس. (الناشر)*

وأنزلَه في كنف الاهتمام، وتصدّى له بالإعزاز والإكرام. ثم جعل يخبر قومَه كالفرحين المبشّرين، وينادي أنه ارتدّ من دين المسلمين. وأكل معه وتغدّى، وما درى أنه سيتردّى. وكان هو يُخفي مولده ومنبعه، لكي يجهل مربعه، وكان يسير في المِصْر مواريًا عن الخَلْق عِيانه، ومُخفيًا مَقَرَّه ومكانه. حتى انتهى الأمر إلى يوم موعود، فدخل عليه على غرارته كمحب وودود، وأمهلَه ريثما يصفو الوقت من الحُضّار، ويذهب مَن جاء من الزُوّار. ثم سطا عليه كرجل فاتك كميشِ الهيجاء، وجنَّبه بسكّينٍ بلغ إلى الأحشاء، وأشرعَه إلى الأمعاء، حتى قطعها وتركها في سيل الدم كالغثاء. وكان هذا يومٌ بعدَ يوم العيد* كما قُرّر من الله في المواعيد. وإذا ظن القاتل أنه أخرج نفْسَه الخسيسة، فهرب وترك داره الخبيثة، ثم غاب عن أعين الناس كالملائكة، وما رآه أحد إلى هذه المدة، فما أعلمُ أصَعِدَ إلى السماء، أو ستره الله بالرداء.

وأما المقتول فدُقَّ بجروح، ولكن كانت فيه بقيّةُ روح، وقال احملوني إلى دار الشفاء، فحملوه وما وجدوا فيه أحدًا من الأطباء، فقال يا أسفي على قسمتي، قد غاب الأطباء مِن شِقوتي. ثم جاءه

* قُتل ليكهرام في اليوم الثاني من عيد الفطر، وكان يوم السبت ٦ مارس سنة ١٨٩٧م/ ٢ شوّال سنة ١٣١٤ من الهجرة المقدسة. منه

الطبيب بعد تمادِي الأوقات وما بقي فيه إلا رمق الحياة، فعمِل أعمالاً، وما زاد إلا نكالا، وقال الموت شِمِّير والبرء عسير، وانقطع الرجاء وزاد البُرَحاء. حتى إذا جثَم ليلةُ هذه الواقعة، فجعَل الحليلةَ ثيِّبًا، وشرِب كأس المَنيّة، ووقع في أحواضِ غُثَيمٍ، ورأى جزاء ظلمٍ وضَيمٍ، وكذلك يجزي الله الظالمين.

فارتفعت الأصوات من البكاء، وبلغ الصراخ إلى السماء. وسمعتُ أن عيناه استعبرتْ في آخر حينه، بما رأى آية الحق بعين يقينه. وأصبح قومه قد طارت حواسّهم، وضلّ قياسهم، بما أباد الله نَجيَّهم، واسترى الموتُ سَرِيَّهم، وكانوا يتيهون في الأرض مُقْتَرين مستَقْرين، لعلهم يجدوا أثرا مِن قاتلٍ أو يلاقوا بعض المُخبِرين. ولما استيأسوا فقال بعضهم إن هذا إلا سِرّ ربّ العالمين. ولم يزلْ أسفُهم يتزايد، والأمر عليهم يتكاءَد، وصاروا كالمجانين. وكانوا لا يفرّقون بين الدجى والضحى، وزال تدلُّلُهم من الشَجى، بما تمّت الحجّة عليهم وفدَحهم ديونُ المسلمين، وحسبوا موته نكبة عظيمة، ونائبة عميمة. وأُرجفَ المسلمون وقيل إن "الآرية" سيقتلون أحدًا من سراة الإسلام، ليأخذوا ثأرهم ويشْفوا صدورهم بالانتقام. فأمّن اللهُ المسلمين مما كانوا يُحَذَّرون، وألقى عليهم الرعب فكَفُّوا الألسنَ وهم يخافون، وجعَل قلوبهم شتّى فطفقوا يتخاصمون، والله غالب

على أمره ولو كانوا لا يعلمون.

ولم تستقمْ لهم ما سوّلوا من المكائد، ثم استأنفوا مكيدة أخرى كالصائد، وأغرَوا الحكّام ليدخلوا داري مفتّشين، ويطلبوا أثرا من القاتلين. فخذل الله أولياء الطاغوت، وردَّ عليهم ما أحكموا من الكيد المنحوت، فرجعوا خائبين كالمجنون المبهوت. ولما لم تضطرم نيرانهم، ولم تنصرهم أوثانهم، استطلعوا أكابرَهم ما عندهم من الآراء، وشاوروهم في أمر الصلح أو المِراء، فقالوا لم تبق قوةٌ وما يُترقّب مِن جهةٍ نصرةٌ. وقال خيارهم: إلى متى هذه التنازعات وقد اختلّ المعاملات؟ ومع ذلك خوَّفهم هولُ الطاعونِ وفُجاءةُ المَنون، فاختاروا السِّلم في هذه الأيام. فالحاصل أن هذه الآية آية عظيمة من الله العلاّم. هو الله الذي يجيب المضطرَّ إذا دعاه، ولا يخيّب مَن رجاه، ولا يضيّع من استرعاه، له الحمد والجلال والعظمة. ولقد ملكتْنا في آيِه الحيرةُ واغرورقت العين بالدموع، فهل من رشيد ينتفع بهذا المسموع؟ وما هذا إلا إعجازُ خاتم الأنبياء، وشهادةٌ طريّة على صدق نبوّته من حضرة الكبرياء. فتدبّروها يا معشر السعداء، رحمكم الله في هذه وفي يوم الجزاء.

ولي آيات أخرى قد تركتُها اجتنابا من الطويل، وكفاك هذه إن كنت خائفا من الرب الجليل. واعلم أن الأصول المحكم في معرفة

صدق المأمورين أن تنظر إلى طرقٍ تثبُت بها نبوّة النبيين. وما كان نبي إلا مكَر في أمره المكّارون، وسخِر من آيِه المستنكرون، وحقّروا شأنها بل كانوا بها يستهزئون، وقالوا فليأْتِ بآية كما أُرسلَ الأولون، مع أنهم رأوا آياتٍ، وشاهدوا تأييدات. فمن الواجب على الأبرار أن يجتنبوا طرق هذه الكُفّار، ويستقروا سبل المؤمنين. وإن أعرضتم فلن تضرّوا الله شيئا، والله غني عن العالمين.

خاتمة الكتاب

اعلموا أن الروايات في المهدي والمسيح كثيرة، وجميعها متخالفة ومتعارضة، وما اطّلعنا على مسانيدِ أكثرِ تلك الآثار، وما علِمنا طرقَ توثيقِ كثير من الأخبار. والقَدَرُ المشترَك.. أعني ظهور المسيح الحَكَم المهديّ ثابت بدلائل قطعية، وليس فيه من كلمات مشكّكة، وأما غيره من الروايات، ففيها اختلافات وتناقضات حيّرتْ عقول المحدثين، وأظلمتْ دراية المتقين، وجَنَّ ليلُ الاستهامة على العالِمين. وجمعوا تناقضاتٍ في أقوالهم، وما نقّحوا قولا باستدلالهم، ووقعوا في دُولولٍ كالهائمين. فقيل إن المهدي من بني العباس، وقيل هو من بني الفاطمة التي هي من أزكى الناس. وقيل هو رجل من بني الحسين، وقيل هو من آل رسول الثَقَلَين، وقيل هو رجل من أمة سيد الكونَين. وقيل لا مهديَّ إلا عيسى، وكذلك اختلف في نزول عيسى، فالقرآن يشهد أنه مات ولحِق الموتى، وقيل إنه ينـــزل من السماوات العُلى، وأنه حيٌّ وما مات وما فنى. وقال قوم إنه مات كما بيّن الفرقان الحميد، ولا يخالفه إلا العنيد، وقال هؤلاء إنه لا ينـــزل إلا على طَور البروز، وذهب إليه كثير من المعتزلة وكرام الصوفية من أهل الرموز. والذين اعتقدوا بنـــزوله من السماء، فهم

اختلفوا في محل النـــزول وتَفرّقوا في الآراء. فقيل إنه ينـــزل بدمشق عند منارة، ويوافي أهلَه على غَرارة. وقيل ينـــزل ببعض معسكر الإسلام، وقيل بأرض وطِئها الدجّال وعاثَ في العوام. وقيل إنه ينـــزل بمكة أم القرى، وقيل ينـــزل بالمسجد الأقصى، وكذلك قيل أقوال أخرى. وزادت الاختلافات بزيادة الأقوال، حتى صار الوصول إلى الحق كالأمر المحال. وقد ورد في أخبار خير الكائنات عليه أفضل الصلاة والتحيات، أن المسيح يرفع الاختلافات، ويجعله الله حَكَمًا فيحكم فيما شجَر بين الأمّة من اختلاف الآراء والاعتقادات. فالذين يحكّمونه في تنازعاتهم ﴿ثم لا يَجِدوا في أنفسِهم حَرَجًا﴾ مما قضى لرفعِ اختلافاتهم، بل يقبلونه لصفاء نيّاتهم، فأولئك هم المؤمنون حقّا وأولئك من المفلحين.

ويقول الذين أعرضوا حَسْبُنا ما وجدْنا عليه آباءنا، ولو كان آباؤهم من الخاطئين. وعجبوا أن جاءهم مأمور من ربهم وقالوا إنْ هذا إلا من المفترين؛ وقد كانوا من قبل على رأس المائة من المنتظرين. وإنه جاءهم لإعزازهم، وجهّزهم بجِهازهم، وآتاهم ما يفحم قومًا مفسدين. أما عرفوا وقته أو جاء عندهم في غير حين؟ وإن أيام الله قد أتتْ، وقرُب يوم الفصل، فبُشرى للذين يقبلونه شاكرين. يريدون أن يطأوا ما أراد الله أن يُعليه، ويجادلون بغير علم

وبرهان مبين. وكتب الله أن يجعل عباده المرسلين غالبين، فليحاربوا الله إن كانوا قادرين. وما كان الأمر مشتبها، ولكن قست قلوبهم فصاروا كالعمين.

أيها الناس.. لِمَ تكفُرون بآيات الله وقد رأيتموها بأعينكم؟ أليس فيكم رشيد أمين؟ وإنكم سخِرتم من عبد الله المأمور، وكِدْتم تقتلونه بالسيف المشهور، ولكن الله ألقى عليكم رُعْبَ السلطنة، ولولا هذه لسطوتم على عباد الله المرسلين. وقد تبيّنَ الحق، فسوّلت لكم أنفسكم معاذير وما أمعنتم كالخاشعين، فنفوّض أمرنا إلى الله وهو أحكم الحاكمين.

راقم: ميرزا غلام أحمد القادياني، ضلع كورداسبور بنجاب –

٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٨م

۞۞۞۞۞